الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -

جامعة البويرة

قسم اللغة والادب العربي

التخصص: نقد حديث و معاصر

العـــــــــنوان

العنف في رواية فرانكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي

إعداد الطالبتين:
- ✓ ياسمين رزقي
- ✓ نسرين سماد

إشراف الأستـــاذ:
د. أحمد حيدوش

01	أ/د. كريمة بوعامر	رئيسا	جامعة البويرة
01	أ/د. أحمد حيدوش	مشرفا و مقرراً	جامعة البويرة
01	أ/د. إسماعيل جبارة	مناقشاً	جامعة البويرة

السنة الجامعية 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله تعالى الذي وفقنا في انجاز هذا العمل، له الحمد كثيرا كما ينعم كثيرا. كما نتوجه بخالص الشكر والتقدير للأساتذة الأفاضل في قسم اللغة والأدب الذين لم يبخلوا بجهدهم وعطائهم وكانوا منارة نهتدي بها، واخص بالذكر الأستاذ: **أحمد حيدوش**، الذي كان لنا نعم المشرف، الناصح الأمين طوال فترة كتابة هذه المذكرة.

كما أتوجه لأعضاء لجنة المناقشة: الأستاذة : **بوعامر كريمة**، والأستاذ: **جبارة إسماعيل**، بكل الشكر والتقدير والاحترام

الطالبتين: ياسمين و نسرين

إهداء

إلى الشمعة التي أنارت دربي وفتحت لي أبواب العلم والمعرفة.. إلى العظيم أبي المصدر الحنون، إلى أعو ما أملك في الدنيا. محظوظة حد السماء لأنك والدي .... "صالح" أسأل الله أن يحفظك لنا.

إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى الحبيبة الطاهرة، إلى من قلبها أثمن من الأحجار الكريمة، أسأل الله أن يرعاك دائما. ماما الغالية "نورة".

إلى الروح الغالية التي أدعوا لها دوما بخالص الرحمة والمعفرة، جدتي رحمة الله عليها.

إلى جدتي الثانية أطال الله في عمرها.

إلى إخوتي سندي في الحياة: "ياسين" و "هدى".

إلى أعمامي وعمتي، وأخوالي وخالاتي، وكل من تجمعني معهم صلة الرحم والقرابة.

إلى من هم كالنور في العين صديقاتي اللواتي كُنَّ نِعْمَ الصحبة لي: نسرين، رشا، سلسبيل، يسرى، ملاك، نجاة.

إلى كل من ملأ قلبي ولم يسعه قلمي، وكل من تحمله ذاكرتي ولم تحمله مذكرتي، وقارئ الأسطر وكل من أعرفهم.

وأخيرا إلى نفسي التي أفتخر بها.

ياسمين

إهداء

إلى من بسمتها غايتي و ما تحت أقدامها جنتي ... إلى من حملتني في بطنها و سقتني من صدرها و أسكنتني قلبها فغمرتني بحبها .. إلى صديقتي الحميمة أمي الرحيمة رعاك الله وحفظك والى أمي الثانية رحمك الله و جعل جنة الفردوس مثواكي ..و ابي الغالي وجدتي التي كانت مصدر صبري و عماتي و خالاتي ...و إلى سبب بسمتي و فرحتي و سعادتي توأمي ياسمين و رفيقات دربي ياسمين صليحة و (شيكو) يسرى و سلسبيل و لامية

إلى أروع من جسد الحب بكل معانيه ، فكان السند والعطاء قدم لي الكثير في صور من الصبر والأمل والمحبة لن أقول شكرا بل سأعيش الشكر معك دائماً - رفيق -

.-و اقدم الشكر لي صديقي الذي كان معي في كل خطوة -مالك

شكرا للجميع بدون استثناء

نسرين

الفهرس

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

الاهداء

فهرس المحتويات.

مقدمة أ-ب

الفصل الأول: جينيالوجيا العنف، ومفهومه.

1: العنف ، المفهوم والدلالة: 5

1-1: العنف في القرآن. 5

1-2: العنف من الجانب اللغوي. 6

2-3: العنف من الجانب الإصطلاحي. 7

2: جينيالوجيا العنف: 8

2-1: العنف تعبيرا عن إرادة الحياة وإرادة القوة. 9

2-2: العنف وسيلة للرغبة وتحقيق الذات. 12

2-3: إرادة القوة وإرادة الرغبة أصل لكل عنف. 13

3: أنواع العنف ومعايير تنوعه.	**14**
3-1: أنواع العنف باعتبار طبيعته:	**14**
3-2: أنواع العنف باعتبار الموضوع.	**18**
3-3: أنواع العنف باعتبار الدافع.	**21**
3-4: أنواع العنف باعتبار الفاعل.	**23**
3-5: أنواع العنف باعتبار الوسط.	**26**
4: العنف أسبابه ومحركاته:	**27**
4-1: العوامل المسببة للعنف.	**27**
4-2: العوامل المحركة للعنف.	**30**
الفصل الثاني: تجليات العنف في رواية فرانكشتاين في بغداد.	
1: العنف الديني.	**36**
1-1: العنف الديني المادي.	**37**
1-2: العنف الديني اللغوي.	**39**
1-3: عنف الديني الرمزي:	**40**
2: العنف السياسي:	**43**

فهرس المحتويات

2-1: الإرهاب والعنف السياسي.	43
2-2: نظرة السياسة للمجرمين.	45
2-3: السياسة والدين:	46
3: العنف الاجتماعي:	47
3-1: العنف الجسدي:	48
3-2: العنف ضد المرأة.	53
3-3: العنف ضد الأخر.	57
خاتمة	65
قائمة المصادر والمراجع	67
الملاحق	73
	72
الملخص	75

مـقـدمـة

مـقـدمـة:

يبدوا أن العنف كان ولم يزل المحرك الدافع للحضارة الإنسانية، بل إنه المظهر الطبيعي الأسمى الذي يحافظ على استمرار الوجود الأرضي بأسره، فبمجرد أن خرج الإنسان للعالم الحسي وجد قانون العنف والموت مكتوبا على كل تخوم الحياة، فالطبيعة الأم عنيفة بطبعها، يكفي أن تثور لتقتلع كل شيء من جذوره، وكل العناصر الطبيعية محكومة بالصراع الدائم. تأكل الحيوانات النباتية النباتات، ولكنها بدورها سوف تصبح فرائس لحيوانات أخرى، وحتى الحيوانات النباتية تقر –رغم عدم حاجتها لقتل الحيوانات الأخرى بدافع الغذاء– العنف قانونا للحصول على حقوق التزاوج وحقوق الأرض، لا تَمُر لحظة في العالم الطبيعي، إلا وكائن حي يقاتل ويقتل كائنا حيا آخر.

ولقد شكلت معاني الصراع والنزاع والحرب والاختلاف والتدافع والقتال والظلم والعبودية، والمعاني التي تحيل عليها بوصفها مقابلات لها، وإن بدا لنا أنها تحيل على غيرها، أقصد هاهنا مصطلحات السلم والتعايش والصلح والعدالة والحرية، محورا لكل عمل فكري فلسفي وفني أدبي أنتجته البشرية، والأدب بوصفه محاولة لتمثل الواقع أولا، ومسائلة له ثانيا، يستثمر العنف الطبيعي والعنف الإنساني بمختلف تمظهراته وأسبابه ودوافعه، فلا تكاد تجد نصا شعريا ولا نثريا قديما وحديثا إلا والعنف والصراع يشكلان محورا له، حتى تلك النصوص التي تمجد الحب والسلام، تتناول الحرب والعنف بوصفهما معنى غائب ماثل في خيال القارئ وفكره بوصف مقابلا لما يمجده.

وتعتبر رواية "فرانكشتاين في بغداد" واحدة من الروايات العربية التي وقفت عند العنف المعاش في الواقع الإنساني من خلال النموذج العراقي، وتمثلته على مستوى الخطاب السردي العربي الحديث، وتأتي هذه

الدراسة الموسومة ب: "العنف في رواية فرانكشتاين" كمحاولة للوقوف عند تمثلات هذه المدونة للعنف، وصوره ومآلاته، على مختلف نواحي الحياة، لتجعل من تشوه الواقع ونقصه مادتا لجمال الخيال وكماله.

يضعنا هذا أمام إشكالية بحثية مفادها: فيما تتمثل تجليات العنف في رواية: فرانكشتاين في بغداد؟، والتي تتفرع إلى جملة من الإشكاليات الجزئية والمتمثلة في:

1- ما هو العنف، ومفهومه وأشكاله وصوره؟.

2- ما هي طبيعة العنف، ومن أين أصله؟.

3- كيف قدمت رواية "فرانكشتاين في بغداد واقع الصراع في العراق؟.

ولقد جاء اختيارنا لهذا الموضوع مدفوعين بجملة من الأسباب الموضوعية، والذاتية والمتمثلة في:

1: ضرورة التأكيد على الدور دور الأدب كوسيلة لتشخيص وعلاج أزمات المجتمع الإنساني.

2: تحول العنف والصراع إلى هاجس يقلق الجماعة الإنسانية.

وقصد الإجابة عن الإشكالية الرئيسية والإشكاليات الفرعية التي تطرحها هذه الدراسة، فقد قسمناها إلى فصل نظري بعنوان: العنف مفهومه وطبيعته، تطرقنا فيه إلى الوقوف على مفهوم العنف، ومناقشة طبيعته، ثم تحديد صوره وأنواعه ومعاير تنوعه في الواقع المعاش، وفصل تطبيقي عنوناه "تجليات العنف في رواية فرانكشتاينفي بغداد"، وفيه تطرقنا إلى مختلف أشكال العنف التي تمثلتها الرواية من خلال الواقع العراقي.

وأما عن المنهج الذي اتبعناه في هذه الدراسة، فلقد فرض الموضوع علينا إتباع منهج موضوعاتي إذ أننا بصدد رصد موضوعة محددة ألا وهي موضوعة العنف في الرواية، وتعتمد هذه الدراسة مدونة أساسية مصدرا للبحث هي: رواية فرانكشتاين في بغداد للكاتب العراقي أحمد سعداوي، بالإضافة إلى مجموعة من المراجع من بينها: تحديات العنف، لماجد الغرباوي، ومفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، محمّد السويدي، العنف ضد المرأة لمديحة أحمد عبادة، خالد كاظم أبو دوح .

الفصل الأول : جينيالوجيا العنف ومفهومه

1- العنف، المفهوم و الدلالة

2- جينيالوجيا العنف

3- أنواع و معايير تنوعه

4- العنف أسبابه و محركاته

الفصل الأول: جينيالوجيا العنف ومفهومه.

أعلى هرم الأعراق الطبيعية يوجد عرقنا بني البشر ويبدوا أن الطبيعة –مرة أخرى– تعلن قانون القوة والعنف قانونا للسيادة على العالم، فالبشر هم أعلى الأعراق مكانة في هذا الكوكب لأنهم الأعنف، لقد اعتلى الإنسان هرم الموجودات عن طريق القتل، قتل غيره من الأجناس، وقتل بني جنسه، "فهو يقتل ليقتات، ويقتل ليلبس، ويقتل ليتزين، ويقتل ليدافع عن نفسه، ويقتل ليهاجم غيره، ويقتل من أجل اللهو، ويقتل من الأجل متعة القوة والقتل نفسه، إنه ملك مرعب يجتاح كل شيء ولا شيء يقاومه"[1]، وما يجعل الإنسان الأكثر عنفا هو كونه الأكثر تعقلا؛ أي الأكثر وعيا والأكثر إدراكا لما حوله.

إن إدراك الإنسان لمفهوم الزمن جعله عنيفا، فالحيوان يقتل ليقتات أو يتزاوج الآن، وبالتالي لا يقتل إلا بقدر هذه الحاجة الآنية، لكن الإنسان وهو يعي مفهوم الزمن يعي وجود لحظة تالية لذا فهو يقتل ليأكل ويتزاوج ويلبس ويتمتع ويهيمن الآن وفي ما بعد، يقتل ليشبع حاجته الآن وليخزن ما قد يحتاجه لاحقا، وهو بذلك يسعى لهيمن على طول خط الزمن ويتنازع أفراده الهيمنة في ما بينهم.

هذا ما خلق عنف الإنسانية، لقد خلقته الحاجة المتجدد والوعي بها حيث يرى: "**أبراهام ماسلو**" في بحثه المقدم سنة 1943 والموسوم ب: "نظرية في التحفيز الإنساني" بأن الإنسان في كل ما يفعله يسعى لإشباع حاجة ما وأنه كلما أشبع حاجة أساسية من حاجاته انتقل لمحاولة إشباع حاجة أخرى هي أقل إلحاحا من الأولى وذات مستوى قيمي أعلى منها، ويرى "**أبراهام ماسلو**" في بحثه هذا أنه –أي الإنسان– يحاول دائما تحقيق خمس حاجات رئيسية هي: الحاجات الفزيولوجية (الغذاء والجنس والدفء)، وحاجة الأمن،

[1]: محمد الهلالي، وعزيز لزريق، دفاتر فلسفية ونصوص 17 –العنف– دار توبقال للنشر، المغرب–2009، 11.

والحجات الاجتماعية (الحاجة للانتماء والحاجة للحب)، وتأتي بعد ذلك الحاجة لتقدير الذات، ثم الحاجة لتحقيق الذات[1]. فهو يقاتل عندما يجوع أو يحتاج للتزاوج أو يشعر بالبرد ليحصل على الغذاء أو الأنثى أو لدفئ، ويقاتل عندما يخاف ليحمي نفسه، ويقاتل لتتميز جماعته عن جماعة أخرى فلا وجود لجماعة الأنا إلا في وجود جماعات الآخرين ولا وجود للآخر إلا في وجود الصراع.

يأخذ العنف في المستوى اللغوي والصوري دوال ودلالات متعددة، كما تخلقه أسباب متنوعة وتحركه دوافع متباينة ونسعى خلال هذا الفصل النظري من هذه الدراسة الموسومة ب: "العنف في رواية فرانكشتاين في بغداد" إلى أن نقف عند مفهوم العنف، وطبيعته، وأنوعه وأسبابه ومحركاته.

1: العنف، المفهوم والدلالة:

أصبح العنف في الآونة الأخيرة حديث الساعة، مما أكسبه أهمية بالغة في كافة الأصعدة، وذلك من خلال تزايد هذه الظاهرة التي أصبحت تمارس بأشكال وأنواع مختلفة، العنف إشكالية فبقدر ما هو مدمر للإنسان ويشكل تهديدا حقيقيا لمصير الإنسانية، بقدر ما يعتبر أساسا لتثبيت السلطة السياسية. والعنف ضرورة طبيعية لا سبيل للحد منها سوى التربية، كما أنه ظاهرة تاريخية لا يمكن تقليص مساحة حضورها سوى بتجذير الوعي، ومواجهته سياسيا من خلال ترسيخ مبادئ الديمقراطية والعدالة والحرية في أفق بناء مستمر لدولة الحق والقانون.

1-1: العنف في القرآن الكريم:

العنف من الجانب الإسلامي (القرآن الكريم) ورد بموقفين: موقف يمنع، وموقف يجيزه أو يأمر به في ظروف معينة، وسوف نذكر بعض الآيات التي تقلص استخدامه أو تحصر اللجوء إليه:

[1]: طه عبد الباقي الطوخي، نظرة في هرم ماسلو للحاجات الإنسانية، مجلة علم النفس المطمئنة، العدد 6-سبتمبر 2017، ص: 124.

قال الله تعالى: {{ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}}[1].

وقال أيضا: {{ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }}[2]. ومن قراءة هذه الآيتين، نلاحظ أن القرآن الكريم يجيز العنف إلا في حالة الدفاع عن النفس، وكرد على عنف الخصوم، وبالتالي هناك احتياطات كثيرة فيما يخص استخدام العنف فلا ينصح باللجوء إليه إلا في الحالات القصوى، كقوله تعالى: {{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}}[3]، وقوله: {{ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّه فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}}[4]، والملاحظة المهمة التي يجب الإشارة إليها هي أنه في القرآن كله لا توجد إلا بعض الآيات التي تتيح اللجوء إلى العنف وتأمر به، من بينها الآية 123 والآية 36 من سورة التوبة، وفي الآيات { 36- 193- 226} من سورة البقرة.

1-2: العنف من الجانب اللغوي:

جاء العنف في معجم لسان العرب "**لابن منظور**" في مادة (ع.ن.ف) "العنف: الخرق بالأمر وقلة الرفق وهو ضد الرفق. عَنف به وعليه يَعْنَفُ عُنْفا وعَنَافَة وأعْنَفَهُ تَعْنِيفاً، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره، واعتنف الأمر، أخذه بعنف. وفي الحديث أن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وهو بالضم الشِّدة والمشقة وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف مثله من الشر[5].

وفي معجم الوسيط لفظة العنف تعني كل مبادرة تتدخل بصورة خطرة في حرية الآخر وتحاول أن تحرمه حرية التفكير والرأي والتقدير. وهو كل أذى (مادي . معنوي) يلحق بالأشخاص أو الهيئات أو الممتلكات[6].

---

[1]: القرآن الكريم برواية ورش عن نافع، سورة البقرة، الآية: 193.

[2]: نفسه، سورة التوبة، الآية: 36.

[3]: نفسه، سورة التوبة، الآية: 59.

[4]: نفسه سورة الأنفال، الآية: 39.

[5]: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت لبنان، ط1، 1997، مج:9- ص: 257.

[6]: معجم الوسيط، دار عمران، ط 3، 1975، ج2، ص: 655.

أما "**الخليل الفراهيدي**" فعرفه بقوله: العنف ضد الرفق. عَنَفَ يَعنِفُ عُنْفاً فهو عنيف، وعنفه تَعنيفاً.

فعلى تعدد اشتقاقات لفظ العنف اللغوية يبقى مدلوله يخالف الرفق والرحمة ويناقضهما، لارتباطه بالقسوة والمشقة[1].

1-3: العنف من الجانب الاصطلاحي:

كل ما يفرض على الكائن بحيث يكون متناقض مع طبيعته، نقول: حركة عنيفة (بالمعنى الأرسطي) تستعمل هذه العبارة أيضا في اللغة الفلسفية نسبة إلى مذهب "**ارسطوا**" لكنه استعمال نادر جدا ويمكن أن يساء فهمه، نظرا للمعنى المخالف الذي يأخذه في اللغة المتداولة، حسب الاستعمال يأخذ العنف أوجه مثل القوة، الكره، الظلم، وهو كل ما يمارس قوة حادة ضد ما يشكل عائقا بالنسبة إليه (ريح عنيف) أي: عاصفة، صدمة عنيفة، انفجار عنيف، ويعني الاستخدام المبالغ فيه للقوة دون مراعاة الشرع أو القانون[2].

العنف مجموعة السلوكيات تهدف إلى إلحاق الأذى بالنفس أو بالآخر ويأتي بشكلين: إما بدني مصل الضرب والمشاجرة أو تدمير أو إتلاف الممتلكات، أما العنف اللفظي: مثل التهديد، وهو في الأخير يؤدي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى إلحاق الأذى.

يتضح من التعاريف السابقة أن العنف هو ذلك السلوك العدواني الذي يتسبب في إلحاق الأذى بالآخرين، كالقتل والتشويه أو الجرح وهو المانع للإخاء والمودة ويكون موجه من شخص آخر، كما يقترن بالإكراه وإخضاع طرف لطرف آخر، أما عن المعنى الضيق لا ينفصل عن معنى الكلمة أي استعمال القوة.

أما من الناحية السوسيولوجية فهو ذلك العنف الذي تمارسه جماعات تكون فيما بينها بنية اجتماعية (نسق اجتماعي) والذي غالبا ما يعبر عن إرادة الجماعة.

أما كونه ظاهرة اجتماعية فيعرف بأنه: الإيذاء باليد أو باللسان، أو بالفعل أو بالكلمة في الحقل التصادمي مع الآخر[3]، فالعنف من هذه الناحية يتم عن التصادم الاجتماعي وعدم التعايش بين الأفراد، ويعبر عن سلوك عدواني يهدف إلى إلحاق الضرر بالآخر ماديا أو معنويا.

---

[1]: كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج3، ص: 239.

[2]: العنف، تر: محمد الهلالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2009، ص: 9-10.

[3]: مدحت مطر، تنامي ظاهرة العنف في المجتمع وعلاجها، دار اليازوري العلمية، عمان، 2014. ص: 20.

وأما من الناحية السيكولوجية فيرى علماء النفس يرون أن: العنف نمط من أنماط السلوك الإنساني، ينتج عن حالة إحباط نفسي عند الفرد وتكون مصحوبة بعلامات التوتر والاضطراب، مع نية مبيتة لإلحاق ضرر مادي أو معنوي، فالعنيف يمتاز ب: "تمركزه حول ذاته وهو ميال لاختيار العنف كوسيلة لحل مشاكله"[1]، فالعنف بهذا المعنى النفسي يتعلق أكثر بعامل الإحباط الذي يدفع الشخص إلى استعمال العنف كوسيلة، وبتعبير أدق العنف هو السلوك البارز والظاهر لميل الإنسان للعدوان.

2: حينيالوجيا العنف.

الحديث عن العنف وتمثله بمختلف تجلياته في الأدب، يفرض علينا العبور بمحاولة لتحديد طبيعة العنف وأصله، وهو ما تحيلنا عليه لفظة "حينيالوجيا" (Génalogie) المنحوتة من كلمتين يونانيتين هما "جيني" (Génos) والتي تحيل إلى الأصل، و لوجي (logie) المشتقة من اللفظ اليوناني (logos) الذي يحيل في معناه الأولي كما استخدمه الفيلسوف اليوناني "**هيراكليتوس**" (Heraclitus 470–535 ق.م) على معنى العقل الكلي أو الأصل الأول للعالم[2]. والذي أصبح يستعمل في فطرة لاحقة للدلالة على العلم أو صفة العليمة للشيء كما في بيولوجيا وسايكولوجيا. ويرتبط استعمال المصطلح في أدبيات الدراسات الحديثة بالفيلسوف الألماني "**فريديريك نيتشه**" (Friedrich Nietzsche 1844 – 1900) في كتابه "في حينيالوجيا الأخلاق"، الذي حاول من خلاله "البحث عن قيمة القيم، والتقويم الذي تنشأ منه قيمتها بالذات، فهي (الجينيالوجيا) عنصر نقدي ومبدع في آن واحد. إنها تبحث عن أصل التقويمات (القيم) ونسبها إلى عنصرها القيمي الأول"[3]. ونفهم من خلال هذه الفكرة أن الجينيالوجيا تعني الكشف عن أصل الشيء أو القيم ومن خلال العودة إلى أصله ومصدره الأول.

---

[1]: عبد الرحمان العيساوي، علم النفس الجنائي، الدار الجامعية بيروت، ط2، 1990، ص: 220.

[2]: جمال مفرج، نيتشه الفيلسوف الثائر، دار إفريقيا الشرق، المغرب –2003، ص: 29.

[3]: جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، تر: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان–1993، ص:5–6.

2-1: العنف تعبيرا عن إرادة الحياة وإرادة القوة.

العنف كشكل من أشكال السلوك الإنساني، ككل أفعالنا يخضع لمعايير القبول والرفض الأخلاقي والقيمي السائدة في المجتمع والعصر، فالعنف إذا لا يأخذ دلالة سلوكية وحسب بل يأخذ دلالة قَيْمِيَةٌ أخلاقية. ونجد " **نيتشه**" يؤكد على أن الصراع أمر طبيعي، وأن إرادة القوة هي الإرادة العليا للإنسان وهي إرادة لها هدف وغاية، معتبرا إياها الوسيلة الوحيدة لتحقيق السعادة في هذا العالم. فالقوة حسبه موجودة في كل أرجاء الكون، وإرادة القوة هي جوهر الحياة ومعنى إرادة العيش، وليست مجرد خاصية من خصائصها، ف: "حيث توجد الحياة، توج أيضا إرادة، إرادة القوة، لا إرادة الحياة"[1] فالإنسان يسعى دائما نحو القوى والتفوق على العالم وحتى على نفسه، حيث يقول في كتابه "هكذا تحدث زرادشت" مفصحا عن إيمانه المطلق بإرادة القوة: "لقد أفصحت الحياة دائمًا أن أتفوق على ذاتي"[2].

وترتبط القوة بفكرة الخير والشر بوصفهما أدوات من أدوات تحيد الإرادة الفردية للإنسان واستلاب الاختيار الحر، فالإنسان يستعمل فكرة الخير لتبرير كل ما يفعله ويصب في إطار مصالحه أي قوته ويستعمل فكرة الشر لتبرير رفضه لما يفعله الآخرين مما يحقق مصالحهم أي قوتهم ويعارض مصالحه هو ورغباته أي قوته. الأمثلة من الواقع عن هذه الفكرة كثيرة وتحدث أمامنا كل يوم على مستوى الأفراد والجماعات والدول أيضا، انظر مثلا كيف تتغير موقف العالم الغربي من الحرب، بين حرب الولايات المتحدة الأمريكية على العراق وحرب إسرائيل على فلسطين وبين حرب روسيا على أوكرانيا، لقد اعتبرت الحربين الأوليين دفاعا من قبل الولايات المتحدة الأمريكية مرة ومن قبل إسرائيل مرة على أمنها ومصالحها القومية، واعتبرت الحرب الروسية على أوكرانيا جريمة واعتداء وخرق للمواثيق الدولية، كيف يمكن لموقفنا من الحرب أن يتغير بين حرين رغم أن الحرب هي ذاتها الحرب بما فيها من الدماء والقتل والعنف.

---

[1]: فريديريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، تر: حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان-1981. ص: 71.

[2] فريديريك نيتشه، هكذا تكلم زارادیشت، تر: محمد الناجي، دار أفريقيا الشرق، المغرب -2006، ص: 122.

نَحْنُ العرب وإسرائيل وروسيا وأمريكا وكل الدول العالم، وكل البشر في العالم نردد ذات الكلمات الأمن الحق العدالة السلم... لكن لكل منا مفهومه عن هذه الكلمات والجميع يخوض لعبة العنف حتى من خلال الكلمات نفسها، "فالكلمات تشارك في الامتزاجات المادية، وتدخل مغازيها على سطح الأجسام..."[1]، إننا نتقلى العنف في خطاباتنا اليومية ونتعامل معه على أنه حدث عادي فلو قلت قطعت السكين اللحم لن تنتبه لمقدار العنف الحاصل داخل هذه الجملة، ومدى عنف هذا التحويل الحاصل بالقوة بين اللحم والسكين.

لكن اللغة تمارس تأثراتها الغير واعية علينا، وتوجهنا حتى دون أن ننتبه، فمثلا: لو قال شخص لأخر سوف أقطعك فإن العنف المضمرة في فعل القطع الذي كان كامنا في البنية العميقة للجملة السابقة قطع اللحم، سوف يظهر للسطح وسوف يشعر بالإهانة، هنا تساعدنا الممارسات اللغوية عن فهم التصورات المجازية عن العنف اللامادي، –وهو ما سنعود لتبيانه في موضعه من هذه الدراسة– ترتبط هذه الفكرة عن القوة والشر والخير بالغاية النهائية للحياة ومفهومها من جهة، فالطبيعة عابثة بالكائنات وغير مبالية بهم تفرض عليهم الفناء والموت، "ولمواجهة هذه اللامبالاة، ينبغي على الحياة، أي على كل كائن أن ينفي ويرفض ذلك، فالحياة صراع ونزاع، جوهره القوة، قوة النفي الدائمة "[2]، فالطبيعة تحاول أن تنفي الحياة والأحياء بالموت، بينما تحاول لكائنات الحية أن تنفي عن نفسها قدر الموت الذي تحتمه الطبيعة عليها، هنا يكون معنى إرادة الحياة هو إرادة القوى فالبقاء يكون للأقوى الذي يستطيع بمختلف السبل أن يقاوم الموت ويتحرر منه.

والقتال هو السبيل الوحيد لتحقيق ذلك لأطول مدة ممكنة، فإما أن تهرب الظبية وتموت اللبؤة وجماعة الأُسُود جوعا، وإما أن تنجح اللبؤة في قتل الظبية لتعيش وجماعتها يوما آخر، وفي الحالتين ستنجح الطبيعة

[1]: جان جاك لوسركل، عنف اللغة، تر: محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، لينان–2006، ص:94.

[2]: نيتشه، هكذا تكلم زارادیشت، ص:107.

في نفي أحدهما عنها. في كل صراع في كل معركة في كل حرب هناك نموذج الظبية واللبؤة قاتل ومقتول، فالعيش والحياة غاية يسعى إلى بلوغها كل كائن حي، ولأجلها خضنا، كل حروبنا وهي الغاية من سلمنا والغاية من ديننا ألسنا نعبد الله طمعا في حياة خالدة يكون لنا فيها كل ما نحتاجه ولا نخاف فيها الموت؟، حتى أن الطاعون الأسود الذي اجتاح أوروبا بين عامي 1347 و1350 وقتل ما بين ثلث سكان أوروبا إلى نصفهم هو ما دفع بشعوبها إلى مراجعة كل مسلماتهم، والخروج عن سلطة الكنيسة التي لم تستطع أن تدفع عنهم الموت، ما حدا بالمؤمنين إلى مراجعة إيمانهم فانتهى ذلك بتصدع السلطتان اللتان كانتا تحكم أوروبا منذ انهيار الإمبراطورية الرومانية، سلطة الإقطاع التي قضت عليها قلت اليد العاملة بسبب هلاك قرى بأكملها وقلت الفلاحين، وسلطة الكنيسة التي قضى عليها الطاعون الذي عجزت عن التوسط عند الله لرفعه عن المؤمنين، "ونشأ عن ذلك أفكار ثورية جديدة جعلت الإنسان لا الله مركز الكون، والعقل لا الكهنة مصدر المعرفة، وانطلق ما سمي في ما بعد بعصر النهضة في المدن الإيطالية ذاتها التي كانت أول ما ضربه الطاعون من أوروبا"[1].

ولما كانت إرادة الحياة وإرادة القوة، ومقارعة الموت وطلب العيش والمعيشة، والتشبث بالبقاء هدف يرومه ويسعى إليه جميع الناس وجميع الكائنات، والطبعة العابثة تعلن النفي والإقصاء والموت ضرورة من ضروراتها، لم يبقى أمام الخلق وقد وقعت أنظارهم على الحياة وعلموا أن الموت واقع لا محالة لجماعة منهم إلا أن يتنازعوا ما راموا وطلبوا، وتدافعوا بما خافوا وكرهوا. وحيث ما وقعت رغبتين على ذات الموضوع أو القيمة وقع التنازع ، وحيث ما كان النازع كان القتال والعنف.

[1]: تميم البرغوثي، كلمنت السادس وهذا الوباء، يوتوب 14-05-2021، سا: 04:46 على الرابط:

https://www.youtube.com/watch

2-2: العنف وسيلة للرغبة وتحقيق الذات.

جرت العادة عند الناس وفي الأوساط العلمية على اعتبار، الرغبة قائمة على علاقة خطية بين طرفين هما الذات والموضوع أو الراغب والمرغوب، وترتكز هذه النظرة على تصور أن الإنسان يبادر إلى تركيز رغبته على غرض بعينه فيجعله محطّ أشواقه وغاية مرامه، غير أن الفيلسوف الفرنسي **رينيه جيرارد** (*René* Girard 1923-2015) أثبت للرغبة "بنية مثلثة قوامها: الراغب/ فاعل الرغبة والمرغوب/ موضوع الرغبة، والمنافس، يقينا منه أن رغبة التملك ضاربة في عمق كل نفس بشرية"[1] ، ترتبط هذه الجذور العميقة للرغبة في نفوسنا بالفكرة التي أشرنا إليها في تمهيد الفصل ألا وهي فكرة الوعي بالزمن، فما دمنا نعي أنه هناك لحظة ما بعد تلي لحظة الآن، فإننا نعي أن ما لا نحتاجه الآن قد نحتاجه لاحقا، كذلك ترتبط بفكرة الحاجة لتقدير الذات التي يجعلها "أبراهام ماسلو" ثاني أعلى حاجاتنا، والتي نشعر بها عن طريق النجاح في الحصول على ما فشل الأخريين في الحصول عليه، فرغباتنا محاكية في جوهرها " بمعنى أن المرء لا يرغب في ذا أو ذاك من الأشياء، لما للغرض المرغوب من قيمة في ذاته (مع إمكانية حدوث ذلك)، بل لأن امرءً آخر نظيره قد صيره له مرغوبا بفعل امتلاكه له، أو لمجرد رغبته فيه"[2].

إن موضوع الرغبة لا يكمن في تحصيل ذات المرغوب بقدر ما يكمن في تحقيق الراغب لذاته وكيانه، فالمرعوب إما أنه حاجة أساسية يحتاجها الراغب للبقاء أو أنه حاجة غير أساسية لكنه يحتاجها ليشعر بمكانة ذاته وكيانه، فكلما حصل شخص ما على شيء نفتقده أردنا أن نحصل على مثل ما حصل عليه لكي لا نشعر بالدونية أمامه، وكلما أبدى آخر رغبته في الحصول على شيء على مرغوب معين، رغبنا فيه بدورنا لنشعر بأننا حققنا ذاتنا من خلال التفوق على هذا الآخر وإدراك ما فاته أن يدركه. وبالتالي فإننا نحاكي الآخرين في رغباتنا، لنحقق هذا الشعور بالذات ولنستمر في البقاء.

---

[1]: رينيه جيرار، الكذبة الرومنسية والحقيقة الروائية، تر: رضوان ظاظا، المنظمة العربية للترجمة- لبنان، 2008، ص: 28.

[2]: رينيه جيرار، العنف والمقدس، تر: سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة- لبنان، 2009، ص: 08.

2-3: إرادة القوة وإرادة الرغبة أصل لكل عنف.

ليس من العجب ولا من قبيل الصدفة، أن الرواية الدينية تبدأ التاريخ الأرضي للإنسانية بجريمة ارتكبها أخ في حق أخيه انصبت رغبتيهما على موضوع واحد هو إمرة، وليس غريبا أن تبدأ الرواية نفسها تاريخ النوع الإنساني وتاريخ هيمنته على الوجود والأرض من جريمة ارتكبها الشيطان الذي عصى الله رافضا الاعتراف بفوقية الإنسان الأول عليه من خلال السجود له. فإن كانت محاكاة الآخر في رغباته ومنازعته عليها سلوك طبيعي، إذ أننا جميعا نحتاج ذات المواد المحدود في الطبعة فمن الطبيعي إذا أن نتنازع عليها لأن كلا منا يحاول أن يفلت من ضرورة الموت والنفي من الحياة التي تقره الطبيعة. "ومن هنا كان النزاع هو النتيجة الحتمية لانصباب رغبتين على موضوع واحد"[1]، فاشتراكنا في ذات الحاجات والتقائنا على ذات الرغبات تفرض علينا التنافس، أي أننا نتنافس الموارد والسطوة لتكون الغلبة لصاحب السلاح الأقوى لا لصاحب الحق الأسبق ولا لصاحب الحجة الأقوى.

كما تحكي القصة الدينية –قصة قابيل وهابيل– فإن هابيل أقام الحجة على استحقاقه لموضوع الرغبة بحسب الشرط الذي ارتضيا أن يحتكما إليه وهو قبول القربان، لكن قبول قربان هابيل دون قربان قبيل، لم ينهي النزاع بينهم بل عمقه لأن شعور قابيل بالدونية قد تعمق ولم يخفف، فهو لم يعد فاقدا لمجرد القبول عند المرأة موضوع رغبته الأول، بل إن عدم قبول قربانه عنى له فقدان القبول عند موضوع رغبة ثاني وأعلى هو الله. وهنا استعمل العنف كوسيلة للتخفيف من هذا الشعر بالدونية من خلال محاولته لتنحية المنافس على موضوع رغبته وقتل أخيه، بغض النظر عن مدى صحة هذه القصة الدينية من منظور علمي فإنها تقدم لنا نموذج جيد عن كيف يدفع الالتقاء في ذات موضوع الرغبة، –هذا الالتقاء الذي لا مناص منه بسبب سلطة الطبيعة علينا وقانون الموت– إلى العنف والاقتتال. إننا في كل قتالاتنا –رغم أننا لا ننتج منها أكثر من

[1]: رينيه جيرار، العنف والمقدس، ص: 10.

الموت– ننطلق من مقاومتنا له، ومن رغبتنا بالتمسك في الحياة. إن كل صراعاتنا هي صراعات تسعى نحو تحقيق الخلود عن طرق القتل، والعنف بهذا يكون وسيلة للعيش لا الموت.

ننتهي بهذا إلى تحديد طبيعة العنف، لا طبيعته المادية التي يحيل عليها سؤال: مما يتركب؟ بل طبيعة العلية، التي يحيل عليها سؤال: ما العلة الأولى التي خلقت العنف فينا؟، وسؤال: سبب اندفاعنا بني البشر وجميع الكائنات الحية نحو العنف؟. نقول: أن علة العنف هي علة الموت والحياة فحيث ما كان هنالك كائن يحاول أن يسلم من أسباب الموت بتحقيق أسباب العيش، كان هناك تنافس وصراع وعنه، بالتالي فإنه من غير الممكن أن يتم تحيد العنف كمظهر من مظاهر العالم الطبيعي والعالم الإنساني. إننا لا نستطيع أكثر من محاولة ضبط العنف ومنع أنفسنا من الاندفاع فيه بغير ضرورة.

3: أنواع العنف ومعايير تنوعه:

يأخذ العنف أشكال متعددة للعنف، وللوقوف على هذه الأنواع المختلفة للعنف لابد لنا من تحديد معايير هذا التنوع، وعموما فإننا يمكن أن نحدد أركان أربع للعنف وهي: الفعل والفاعل والموضوع والدافع، وتبعا لهذه الأركان الأربعة نقول: بأنه هنالك ثلاثة معايير، لهذا التنوع في ظاهرة العنف وهي: معيار الطبيعة، ومعيار الموضوع والفاعل، ومعيار الدافع. ولما كان لابد له من مكان أو وسط معين، يسمع باحتكاك الفاعل والموضوع فإننا نظيف معيارا رابع هو: معيار الوسط، وتتدرج تحت كل معيار من هذه المعايير أشكال وأنواع مختلفة ومتباينة نبينها كالآتي.

3-1: أنواع العنف باعتبار طبيعته:

نقصد بالطبيعة هيئة العنف أو الصورة التي يمكن أن يتخذها، والعنف على أساس هذا المعيار لا يخرج عن أحد ثلاثة صور، فإما أن يكون عنفا ماديا يتخذ الجسد وسيلة وموضوعا، وإما أن يكون عنفا لغويا فتكون اللغة وسيلته، ويكون الكيان النفسي للمُعَنَّفِ موضوعه، وإما أن يكون عنفا رمزيا يتخذ الإيحاء والأفكار وسيلة له والكيان النفسي موضوعا، و وقبل تبيان يجدر بنا أشكال كل نوع من هذه الأنواع، أن نشير إلى أن العنف المادي كذلك يمتد أثره للمساس بالكيان النفسي، لكنه يقع بداية على الجسد.

أ: العنف المادي: يتجه هذا العنف من خلال اليد، إما نحو جسد الطرف الآخر، ويتم خلاله استعمال القوة البدنية قصد إلحاق الأذى الجسدي بالموضوع "ويشمل جميع الأفعال الموجهة نحو المعنّف بقصد إلحاق الأذى والضرر الجسدي به"[1] كالضرب والجرح والكسر والجرح والقتل، والحرمان من الحاجات الأساسية بالتجويع أو التعطيش أو الحرمان من حق الراحة والنوم، ويكون هنا منع الدواء على المريض صورة من صور العنف المادي، وإما أن يتجه نحو ممتلكات هذا الآخر بالتخريب والتحطيم والسرقة...، فكل فعل من شأنه أنّ يلحق الضرر بجسد الإنسان أو ممتلكاته يعتبر عنفا ماديا.

ب: العنف اللغوي أو عنف الخطاب: يتحدث أستاذ اللغة الإنجليزية في جامعة باريس، نانتير، **جان جاك لوسركل** (Jean-Jacques Lecercle) عن الإمكانات العنيفة الهائلة للغة، كنا قد قدما في خضم التعريف اللغوي والاصطلاحي للعنف أنه –من بين معانيه– في اللغة الإكراه والكراهة، وفي الاصطلاح أنه "استخدام القوة والإكراه"[2]، وفي إطار هذه الفكرة يندج حديث **جان جاك لوسركل** عن الإمكانات العنيفة الكامنة في اللغة من خلال إكراهاتها "ذلك أن المتكلم مقيد، في استعماله اللغة، بظواهر اجتماعية ونفسية محددة: إنه عنف اللغة" [3]، واللغة يمكن أن تعبر عن مظاهر عدة للعنف، ظاهرة ومضمرة.

وإن كان الشتم والسباب واللعن من أوضح مظاهر عنف اللغة، فإن التلميح بشيء من ذلك يعتبر من مظاهر العنف المضمر فيها، وقد كان بعض اليهود يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون له رَاعِنَا، وظاهر الكلمة أنهم يريدون تنظرنا بمعنى أمهلنا لكن "لفظ (رع) عند اليهود معناه شقي شرير. ولفظ (راع) معناه الشر والشقاوة فإذا أضيف إلى ضمير المتكلم صار بلسانهم (راعينو) ومعناه في الخطاب أنت ضرّنا وشقوتنا..."[4]، فكانوا يضمرون في نفوسهم هذا المعنى المضمر في اللغة حين يخاطبون النبي صلى الله عليه وسلم أن "راعنا" واقتدى بهم بعض المسلمين في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم ظنا منهم أن

---

[1]: مصطفى عمر التيز: العنف العائلي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض– السعودية، ط1–2015، ص: 19.

[2]: فرج عبد القادر طه: موسوعة علم النفس، ص: 551.

[3]: جان جاك لوسركل، عنف اللغة، ص 55.

[4]: عبد الله دراز: النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن)، دار الثقافة، الدوحة – قطر، ط 1– 1985، ص: 182.

الأنبياء تخاطب بذلك فانزل الله عز وجل قوله: {{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}} (سورة البقرة، 104).

نقصد بالعنف المضمر للغة، الكناية والتلاعب بالكلمات والتصحيف والتورية، فكل هذه الأشكال التعبيرية، إذا ما استعملها المتكلم قصد النيل من بالآخر تعتبر مظهرا من مظاهر "العنف الذي يوقعه المتكلم باللغة، وتتقبله اللغة بسرور. فهو كما يصفه الفرنسيون، ذلك العنف اللذيذ، الذي يبهج النفس لأنه يستجيب لدواع مخبوءة في العقل الباطن"[1]. اللغة إذا كما السكين يمكن أن تستعمل للبناء والهدم، إن كل الكلمات الإنسانية يمكن أن يحملها المتكلم على غير دلالتها الأصلية ليعطيها معاني جدية تتوافق ومراميه إن هذه الخاصية الجميلة والخلاقة والممتنعة عن النظام في اللغة، والذي نستعمله جميعا بشكل دائم وواعي وغير واعي.

هذا الشق المجازي للغة كما انه جوهر الشعر وأساس تلقينا للشعر وكل الفنون البشرية، يمكن أن يستعمل كوسيلة لتشوه الإنسان وتشويهه، فالذي يطلق العبارات النابية بصورة معلنة أو متوارية خلف مجازات اللغة، لا يمارس عنفا لغويا على المعنف الذي تقع عليه هذه الكلمات، بل إنه يمارس العنف على كل سامع وعلى نفسه وعلى اللغة نفسها من خلال استغلاله لجمال مجازها في قبح مراده، فالقبح ليس خاصية من خصائص اللغة فكل كلمة في اللغة وجدت فيها لتعبر عن شيء يتعلق بالحياة الاجتماعية أو النفسية أو الشعورية أو الفكرية للإنسان، لكن يكون القبح في مقصد المتكلم ومراده، وهو إذ يستعمل اللغة وسيلا للعنف والقبح إنما يمارس العنف على اللغة لا بها.

ج: العنف الرمزي: دخل عبد الله ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وهو شيخ ضرير من عوام الناس على النبي –صلى الله عليه وسلم– وعنده نفر من سادة قريش يدعوهم للإسلام، ولم يكد الشيخ يستقر في المجلس

[1]: جان جاك لوسركل، عنف اللغة، ص: 26.

حتى قال: يا محمد أنبئني عن الإسلام. استاء النبي صلى الله عليه وسلم من سلوك ابن أم مكتوم وقطب عابسا، فأنزل الله سبحانه سورة عبس يعاتب في نبيه الكريم عن عبوسه في وجه شيخ أعمى أتاه يسأله عن الدين[1]. جاء رجل إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فقال: "يا أمير المؤمنين إني أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن قضياها حمدت الله وشكرتك، وإن لم تقضها توكلت على الله وعذرتك، فقال علي رضي الله عنه: أكتب حاجتك على التراب فإني أكره أن أرى ذل السؤال على وجهك"[2].

نجد في كل من القصتين مثلا يصور لنا العنف الرمزي، في الأولى تستعمل ملامح الوجه والجسد في العبير بشكل قد يكون من شأنه أن يؤذي الآخر حتى بدون قصد فلا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد الإساءة لابن أم مكتوب بقدر ما جاء تصرفه عفوا تعبيرا عن امتعاضه من سلوك سائله. وفي القصة الثانية فنلاحظ أن علي رضي الله عنه كره أن يشعر سائله بمذلة السؤال فلتمسا في جعله يكتب حاجته على التراب ليخفف عنه مشاعر الضعة والحاجة والذل التي يشعر بها السائل عادة، فالمراد بالعنف الرمزي هو تلك الأشكال الغير مباشرة لإيذاء الأخر بإذلاله أو احتقاره أو إشعاره بنقصه المادي أو الجسدي أو الاجتماعي.

العنف الرمزي عنف ناعم لا محسوس وغير مرئي ولا ينتبه إليه عادة حتى من قبل الضحية لكنه في كل الأحوال يبقى عنفا ماثلا في الواقع، يتحول بالتدريج إلى ترجمات لا واعية يجد فيها الشعور السلبي الناتج عنه كل الشروط الضرورية والكافية للاستدامة[3] والعنف الرمزي عنف متواري غير محسوس وليس له اثر

---

[1]: معمر عبد العزيز، نور قبس من سورة عبسى، مكتبة نور الاليكترونية، 2019، ص 12.

[2]: علي بن الحسن بن هبة الله *بن عساكر، تاريخ دمشق الكبرى، تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غلامة العمري*، دار الفكر، د.ط، د.ت، ج 3 – ص: 246.

[3]: الطاهر لقوس علي: السلطة الرمزية عند بيير بورديو، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم اللغو والآداب والفلسفة، جامعة وهران، العدد : 16 –2016، ص: 42.

واضح للعيان ولا يعاقب عليه قانونيا، وكثيرا ما يتصالح معه اجتماعيا. ما يجعل العنف الرمزي من بين أخطر أنواع العنف كونه غير راجع لأسباب محددة فهو موجود في كل الجماعات الإنسانية المتحضرة والمتخلفة الجاهلة والمتعلمة الغنية والفقيرة، بل إن الطبقات الاجتماعية العليا هي الأكثر استخداما لهذا العنف في ما بينها واتجاه الطباق الأخرى، وذلك أن مكانة الطبقة تحول بينها وبين استعمال العنف المباشر هذا من جهة فهذا النوع من العنف "يتميز بقدرته الهائلة على التخفي وراء الرموز والدلالات والمعاني، وقدرته على التغلغل العفوي في الوعي"[1] إنه عنف يحقق غايته الهدامة لكيان الموضوع في صمت، دون أيما حاجة لاستخدام القوة المعلنة على ضحاياه.

من جهة ثاني فإن هذا العنف كثيرا ما يمارس في أوساط المُعَنَفُ فيها محكوم بامتنان عميق وصادق لمُعَنِّفِه إلى حد العجز عن التفكير في أنه يتعرض للعنف. النظرة الشزراء التي يلقيها المتصدق على سائله الفقير، النظرة الفوقية التي يوجهها الأستاذ للطالب، نظرة التهديد والوعيد التي يلقيها رجل الأمن على العابرين أماما حاجز أمني كل هذه أشكال من أشكال العنف الرمزي المتواري وراء الكرم والشفقة، أو اللقب العلمي والتعليم، أو السلطة والحاجة الأمنية أو خلف أي غطاء برّاق وشريف وجميل يبقى عنفا مهما تقنع بأقنعة الإحسان.

3-2: أنواع العنف باعتبار الموضوع.

يقصد بالموضوع هاهنا الذات التي يقع عليها العنف أي المُعَنَّف، فبتغير الواقع عليه يتغير نوع العنف الذي نتحدث عنه، هذا التغير قد يكون من حيث الشكل فعمل الأطفال يعتبرا شكلا من أشكال العنف عليهم

[1]: المرجع نفسه: ص 45.

وكذلك تزوج القصر بحسب القانون الدولي[1]، كذلك العنف ضد المرأة، العنف ضد الأقليات... وفي كل مرة يتغير فيها الموضوع يتغير العنف في شكله وصورته ومبرراته كذالك وفي الموقف الاجتماعي منه، فالعنف على المرأة مثلا: كثيرا ما يبرر له اجتماعيا، ويمكننا أن نلاحظ من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، – ووفق استقراء ناقص طبعا– أنا مواقف المجتمع الجزائري من الجرائم على الأطفال أكثر حدة من مواقفهم ضد جرائم الاغتصاب، بل قد نجد من يبرر الاغتصاب ويحمل المرأة المُغْتَصَبَة مسؤولية الاعتداء عليها بحجة التبرج أو الخروج في وقت متأخر أو أي حجة أخرى. بشكل عام يمكن تقسيم العنف من حيث الموضوع الواقع عليه العنف، إلى قسمين يندرج تحت كل قسم منهما أقسام جزئية وهذان القسمان هما:

أ: **العنف ضد الأفراد:** تكون الضحية في هذا النوع فردا، أو عددا قليلا من الأفراد الذين لا تجمعهم صلة اجتماعية عامة، فسواء تعرض طفل واحد للاختطاف أو امرأة واحدة للاغتصاب، أو حدث ذلك لألف طفل أو ألف امرأة دفعة واحدة، فإننا نتحدث عن العنف ضد الأفراد ما لم تكن هناك صلة اجتماعية تجمع بين الضحايا، كأن يكونوا من عرق واحد أو طائفة دينية واحدة، ويندرج ضمن هذا الباب العنف على الأطفال، العنف على المرأة، العنف على أصحاب بعض العاهات السلوكية أو الجسدية، كذوي الاحتياجات الخاصة والشاذين الجنسيين عند هذه النقطة الأخيرة المتعلقة بذوي العاهات الجسدية والسلوكية قد يقول قائل: أنه هناك سمة مشتركة بين الأفراد أفلا يخرجها ذلك من حكم العنف على الأفراد، وجواب ذلك أن هذه السمة الإعاقة أو الشذوذ لا تمثل سمة اجتماعية عامة وطبيعية تميز الأفراد.

[1]: حمودة منتصر سعيد، حماية حقوق الطفل في القانون الدولي العام والإسلامي، دار الجامعة الجديدة، مصر ط1 –2007، ص43.

ب: العنف ضد الجماعات: يأخذ العنف ضد الجماعات مفهوما مقابلا للعنف ضد الجماعات، فالضحية فيه لا تكون مقصودة بذاتها وإنما تكون مقصودة بسبب انتمائها العرقي أو الديني، أو اللغوي[1]، وهنا نتحدث عن وجود سمة عامة تجمع بين ضحايا العنف فلو أن المُعَنَف استطاع التستر عن تلك السمة الاجتماعية لما تعرض للتعنيف. يمارس هذا العنف في الغالب من قبل الطائفة التي تشكل أغلبية المجتمع – ولا يشترط ذلك أن يمارسه كل أرادها فيكفي أن تمارسه جماعة تنتمي لهذه الأغلبية – إنه جريمة كفائية بالمفهوم الفقهي للكفاية إذا فعله البعض نسب للجميع حتى يقفوا ضده ويمنعوا مرتكبيه عنه– على الأقليات العرقية، أو الدينية، أو الطائفية،أو اللغوية، أو غير ذالك من فالفئات الأقلوية الموجودة في مجتمع ما أو مكان ما، فكل عنف يقع على نفر من الناس بوصفهم قلة من طرف الكثرة يعتبر عنفا جماعيا. لكن في حالة خاصة يمكن أن يقع على جماعة تشكل الأغلبية ومن أمثلة ذلك[2]:

* ممارسة أقلية تملك الأفضلية الاقتصادية، أو الدينية، العنف على الأغلبية المحرومة كما في النظام الإقطاعي.

* ممارسة أقلية اجتماعية أو عرقية تحميها السلطة العنف ضد الجماعة الغالبة على المجتمع كعنف المعمرين ضد الأهالي خلال الاستعمار الفرنسي، أو عنف اليهود على الفلسطينيين اليوم فرغم أنهم قلة فإنهم يعتدون على الكثرة الغالبة من أهل البلد تحت حماية المستعمر.

* ممارسة النخبة الحاكمة قهرا عاما على المحكومين كما في الأنظمة الشمولية.

---

[1]: مصطفى عمر النير: العدوان والعنف والتطرف، المجلة العربية للدراسات الأمنية، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض –المملكة العربية السعودية، ع: 16، جوان– 1993 مج: 08، ص: 75.

[2]: طارق السيد: الانحراف الاجتماعي –الأسباب والمعالجة– ، مؤيية شبابا الجامعة، مصر، ط1، 2008، ص: 170 – 179.

وعموما فإن هذا الشكل من العنف يقع في مسقطه العام، من الفئة التي تشكل كثرة على فئة أو فئات أخرى تشكل أقليات في النسيج الاجتماعي، فإذا ما وقع العكس فتحرك العنف من القلة نحو الكثرة كان لا بد لهذه القلة من سلطة دينية أو سياسية أو اقتصادية تحتمي بها من ثورة مغبة ردود أفعال الغالبية المُعَنَّفَة، إذ أنها تعلم يقينا أنها متى ما فقدت تلك السلطة هيبتها في نفوس الناس مالوا على تلك الطائفة فمزقوها كل ممزق.

3-3: أنواع العنف باعتبار الدافع:

بالنظر إلى العنف باعتبار الدافع إليه، نجد أن الدوافع بذاتها متنوعة ومتعددة يستعصي القبض عليها وحصرها، بل إن في بعض الحالات يكون الدافع غير واعي حتى عند الفاعل نفسه، لكن كل الدوافع للمكنة للعنف، ومهما تباينت فإنها لا تعدوا أن تكون دوافع مشروعة أو غير مشروعة، وتبعا لذلك يكن هنالك نوعين من العنف هما:

أ: العنف المشروع: نعني بالعنف المشروع ذلك العنف الذي يكون ضرورة لحجب العنف أو أسبابه إنه "ذلك النمط من السلوك العنيف المستند للقوة الضروري "في مقاومة المجرمين، أو الخارجين عن القانون، أو النظام في المجتمع المصيري...، أي: العنف المقبول... ومن ثم لا يترتب على مقترفه عقاب"[1] تأخذ فكرة المشروعية هنا معنيين: معنى قانوني ومعنى أخلاقي، وتبعا لهذين المعنيين اللذان تحيل عليهما فكرة الشرعية، يكون هناك مفهومين للعنف المشروع هما: العنف المشروع مشروعية قانونية: وهو العنف الذي يشرعه القانون وتقره السلطة الحاكمة للدولة أو الجماعة سواء أكانت هذه السلطة دينية، أو سياسية، كأن يقوم

[1]: محمد السيد حسونة: المشكلات السلوكية المدرسية، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1- 2000، ص: 14

شرطي باستخدام القوة ضد مجرم بشكل تبرره حاجة منع هذا المجرم عن الإجرام، حيث "تستخدم سلطة الدولة العف بطريقة شرعية لحماية الشرعية القانونية والنظام في المجتمع"[1].

والعنف المشروع أخلاقيا والذي لا يكون مستعمله يستند لقاعدة قانونية مستمد من سلطة الدولة، وإنما تقره الفطرة الإنسانية السوية، ويستعمله الفرد ليدفع عن نفسه الظلم أو عن غيره شرط أن يستعمله بقدر الحاجة بالأخف فالأخف، فلو أن مجرما دخل بيت إنسان ليسرق ولم يستطع صاحب البيت أن يرده بغير القوة فاستعمال القوة هنا مشروع، لكن لو كان بيده أن يمسكه دون ضرب وضربه فاستخدامه للقوة في هذه الحالة غير مشروع، لأنه أصبح في غير محكوم بالضرورة.

ب: العنف غير المشروع: يندرج كل سلوك يستعمل القوة بصورة تخاف القاعدة القانونية، أو القاعدة الأخلاقية في إطار العنف غير المشروع وهو: "العنف الذي لا يحميه ولا يقره قانون، وهو عكس العنف الشرعي وعندما يرتكبه فاعله فإنه يعد سلوكا عنيفا يعاقب عليه القانون"[2]. تجدر الإشارة إلى أن القاعدة القانونية والقاعدة الأخلاقية اللتان نستند إليهما في الحكم بشرعية العنف أو عدم شرعيته قد تختلف، فالناس مثلا في الغالب العام تقر القتل دفاعا على النفس، لكن القانون الجزائري لا يقر ذلك ويعتبره إجراما يعاقب فاعله، وربما قد يجد القانون مسوغا للعنف كالعنف ضد الأقليات، وإيجاد القوة الاستعمارية قوانين تقر للمعمرين سلب أملاك الأهالي، فإن هذه الممارسات تبقى من منظور الفطرة السليمة ممارسات غير أخلاقية وإن أقرتها قوانين الدول.

[1]: المرجع نفسه: ص:14.

[2]: المرجع نفسه: ص: 16.

3-4: أنواع العنف باعتبار الفاعل:

ينقسم العنف من حيث فاعله، أو القاسم به إلى عدة أقسام بحسب طبيعة هذا الفاعل وتتمثل هذه الأقسام في:

أ: العنف الفردي: وهو العنف الذي يقوم به فرد أو مجموعة أفراد لا يجتمعون تحت شكل منظم من الجماعات، وهو عنف يحدث بين الأفراد في حياتهم اليومية[1].

ب: العنف المنظم: يقابل العنف المنظم مفهوم الجريمة المنظمة، وهو عنف مُبَيَّتُ النية يتم بتواطؤ مجموعة من الأفراد المدفوعين بدوافع مشترك، كالعنف الذي ترتكبه العصابات ويتم بصورة نمطية متكررة، فإذا ما كررت مجموعة من الأفراد عملا عنيفا بصورة دورية وبنية مُبَيَّتَةٌ مسبقا[2]، قلنا أننا أمام عنف منظم، يجعل هذا الشجارات العائلية التي تتم بين مجموعة من العائلات مثلا ويشارك فيها العديد من الأفراد خارج إطار العنف المنظم لأنه تفتقر إلى النية المبيتة والنمطية المتكررة.

ج: العنف الجماعي: وهو عنف يتسم بشيء من العدوى أو الهوس العام، بحيث أنه عادة ما يبدأ بين أفراد ثم ينخرط فيه مجموعات كاملة، بالتالي فإن المثال السابق الذي أوردناه في خضم الحديث عن العنف المنظم (العنف بين العائلات، أو الأحياء، أو الجماعات الاجتماعية)، ويختلف هذا العنف عن العنف الفردي الذي ينخرط فيه أكثر من فرد في وجود هيكل ما يجمع المنخرطين فيه كعلاقة النسب العائلي أو الجيرة أو الطائفة، ويختلف عن العنف المنظم في افتقاره إلى النية المبيتة عادة والنمطية المتكررة.

---

[1]: طارق السيد: الانحراف الاجتماعي، ص: 140.

[2]: عبد الرحمن عمار: قضية الارهاب بين الحق والباطل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط: 1- 2003، ص: 109.

د: العنف السياسي: وهو العنف الذي تقوم به جماعة سياسية وله في العموم شكلين هما: عنف الدولة، وهو حالة من القمع الذي تمارسه السلطة على رعاياها أو على طائفة من رعاياها، ويمثل "عنف الدولة أحد الأخطار المستعصية التي عانت ومازالت تعاني منها غالبية الشعوب، وتكمن خطورة هذا العنف في كون الدولة... مركز القوة والسلطة والقرار"[1] إنها الحامي الطبيعي للشعب من عنف بعضهم بعض فإذا متحولة هي لآلة عنف من ذا يحميهم هذا من جهة، ومن جهة قانية فإن العنف الذي تمارسه الدولة "يسبب تخلف مجتمعاتها ثقافيا وحضاريا"[2] وذلك لأن الدولة تعمد إلى قمع الآخر، المعارض والمضاد لها بمختلف الوسائل دون أن يمنعها عن ذلك مانع، فتتحول الدولة إلى سلطة استبدادية قاهرة تمارس العنف على الجماهير العامة بواسطة أبناء هذه الجماهير وأموالهم.

أما الشكل الثاني من أشكال العنف السياسي فهو العنف الثورين، هو العنف الذي تقوم به جماعة تخرج وتنشق عن الكيان السياسي الرسمي الممثل والحاكم للدولة سواء تمثلت هذه الجماعة في جهاز من أجهزة الدولة كما يحدث في الانقلابات العسكرية، أو في حزب من الأحزاب السياسية أو طيار من الطيارات الإيديولوجية، أو في شريحة من الجماهير العامة (الشعب)، ويسمى هذا الشكل من العنف عنفا سياسيا لأنه يتعلق بالكيان السياسي للأمة.

هـ: العنف الديني: يواجه كل حديث عن العنف الديني، مجموعة واسعة من الإشكاليات المفصلية، المتعلقة بتعريف الدين في المستوى الأولي، ثم بتعريف ما يمكن أن يوصف بأنه ديني من أي شيء في المستوى الثانوي، وفي المستوى الثالث: يواجهنا سؤال المقصود بالعنف الديني؟، هذا السؤال فظلا عن ارتباطه بالسؤالين السابقين واللذان يكاد يكون من المتعذر تقديم إجابة كافية شافية، جامعة مانعة عنهما،

[1]: ماجد الغرباوي: تحديات العنف، العارف للمطبوعات، لبنان، ط1- 2009، ص: 178.

[2]: المرجع نفسه: ص: 178.

فإنه ويثير بذاته عدّة إشكاليات مفهومية: فهل العنف الديني هو العنف الذي يمارسه غلاة المتدينين باسم الدين أو دفاعًا عنه؟، من يمارس هذا العنف، هل يمارسه الأفراد أم الجماعات أم الثقافات أم الذاكرة ليصبح شكلا من أشكال العنف الرمزي؟، أين يكمن هذا العنف الدينيّ: هل يكمن في الدّين ذاته أم في كيفية فهمنا وتأويلنا للدين ولنصوصه؟، هل يمكن أن يتجاوز العنف الديني ممارسة الصراع، إلى الطقس الديني، ليشمل ممارسات المؤمنين وأفعالهم الطقسية الخاصة والمميزة؟. هل العنف الديني خاصية عامة لكل الأديان، أم سمة مميزة لبعضها فقط ؟. إذا كان هو خاصية لبعضها فقط، فهل هو من جوهرها أو عارض عليها؟ وهل هو مشروع أم لا مشروع؟، وعن أي دين نتحدث؟. هل العنف الديني واحد بصورة واحدة أم متعدد؟.

كل هذه الإشكاليات، والتي تحتاج كل منها دراسة مستقلة بذاتها، وإشكاليات أخرى تواجهنا عند محاولة تحديد المقصود بالعنف الديني، لكنه بمفهوم الأولى هو: ذلك العنف الذي تمارسه جماعة أو سلطة أو طائفة دينية أو أفرد ينتمون لها، على الناس المنتمين لذات دين ممارس العنف، أو المختلفين عنه، بسبب اعتبارات دينية[1]، هذا يعني أنه إذا ما مارست جماعة أو سلطة دينية ما، أو متدين ما العنف على الآخرين من أهل ذات الدين أو من المختلفين دينيا لاعتبارات غير دينية كالاعتبارات الاقتصادية والاعتبارات الاجتماعية واعتبارات الجريمة للجريمة (اعتبار الطبيعة البشرية) فإننا لا نتحدث عن عنف ديني، وهذا ما يعيدنا للسؤال السابق ويبين أهميته ألا وهو سؤال: ما يمكن أن يوصف بأنه ديني من أي شيء؟، فوفقا للرؤية الإسلامية مثلا فإن كل الاعتبارات السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية هي اعتبارات دينية.

[1]: محمّد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، الدار التونسية للكتاب، تونس، 1991، ص 136

3-5: أنواع العنف باعتبار الوسط:

نتحدث هنا عن العنف باعتبار الحيز الطبيعي الذي يحدث فيه، إذ أنه يمكن لكل حيز طبيعي أو اجتماعي أن يحتوي شكلا من أشكال العنف، فهناك العنف المدرسي وحيزه المدرسة، وهناك العنف الأسري وحيزه الأسرى وهناك العنف الاجتماعي ومكانه الحيز الاجتماعي العام المدينة أو الشارع، وهناك العنف في أماكن العمل، وعموما فإن كل وسط يلتقي فيه البشر يمكن أن يتحول لوسط عنف، أو وسط عنيف.

لماذا نتحدث عن الوسط؟، لأن لكل وسط وضعه الخاص، ظرفه الخاص، وإنسانه الخاص، وهذه جميعا تخلق وروحه وطبيعته الخاصة، التي منها تأتي مميزاته ومنها تأتي مشاكله الخاصة، فإذا ما أردنا أن نعالج العنف المدرسي علينا أن نفهم روح وطبيعة المدرسة، وكيف تساهم هذه الروح وهذه الطبيعة المميزة للمدرسة كوسط خاص في خلق العنف وتعزيز أسبابه[1]. بطبيعة الحال فإننا لابد لنا في تركيزنا عن المدرسة كوسط للعنف المدرسي لا يجب أن نهمل العلاقة القائمة بينها وبين باقي الأوساط التي تتميز بعنفها الخاص والتي ربما تكون فيها بذور العنف المدرسي، كعلاقة المدرسة بالأسرة، علاقة المدرسة بالشارع بوصفه مكانا اجتماعيا، وكيف يمكن للعنف الموجود في الأسرة أو الشارع أو أي وسط آخر أن يتسرب للمدرسة وكيف يمكن للعنف المدرسي أن يتسرب للأوساط الأخرى ويؤثر فيها.

[1]: سهيل العروسي: العنف مقدمات ونتائج، مجلة الفكر السياسي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق. ع: 14، صيف 2001، ص: 138.

4: العنف أسبابه ومحركاته:

تركز جل الدراسات التي تتناول ظاهرة العنف في شكلها العام، أو في أشكالها الجزئية كالعنف المدرسي، أو العنف السياسي أو الاجتماعي مثلا، على محاولة تحديد أسباب الظاهرة، تركيزا يبرره اعتقاد سائد بأن تحيد أسباب الظاهرة –ولوحده– يسمح باستئصالها، وأننا إذا ما استطعنا تحديد السبب قد نتمكن من تحيده كليا أو جزئيا، وبالتالي علاج الظاهرة أو تخفيف حدتها. هذا الطرح –لا شك– في الكثير من الصواب، لكن ما تغفل عليه جل هذه الدراسات وما يغيب عن ذهن الباحث المتخصص والمهتم المطلع – وهذا حكم جزئي توصلنا إليه من خلال استقراء ناقص للمراجع التي اعتمدنا عليها خلال انجاز هذه الدراسة– هو فكرة المحرك للعنف، فالأسباب وحدها بالعامل الكافي لتشخيص الظاهرة ومن ثم علاجها فقد تتوافر الأسباب دون أن توجد الظاهرة، فمثلا قد يعيش مجتمعين نفس الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الصعبة والمساعدة على تعزيز العنف كالفقر والتفكك الأسري وشيوع الجريمة والفساد والاستبداد السياسي، فيتجه احدهما نحو العنف بينما تتعز في الآخر قيم السلم والحد بين أسباب الظاهرة ومحركاتها، أن الأسباب خارجية تكمن في الوعي وهي مُدْرَكَة للذات ويمكن للدارس إن يلاحظها مباشرة. أما المحركات فيه لا شعورية توجد في اللاوعي الفردي والجمعي للإنسان، وهي غير مُدْرَكَة من قبل الذات الفاعلة، ولا يمكن للباحث أن ينتبه إلى دورها في تحريك العنف إلى بعد جهد معمق ملاحظة.

4-1: العوامل المسببة للعنف:

للعنف أسباب متعددة، لكنها ترتبط جميعا بثلاثة عوامل هي: العامل السياسي والعامل الاقتصادي والعامل الاجتماعي.

أ: **الأسباب الاقتصادية والاجتماعية للعنف:** تأتي الأسباب الاجتماعية والاقتصادية في مقدمة العوامل المسببة للعنف، فتفشي الفقر والبطالة والطبقية في المجتمع، يساعد على توجيه الأفراد نحو العنف، إذ يعد انتشار البطالة في المجتمع من أهم مسببات العنف، فعدم توفر فرص العمل يجعل الشباب المحروم، يحاول أن يوفر حاجاته بكل الطرق ما يوقعهم في فخ السرقة والاعتداء ومختلف أعمال البلطجة، كما أن البطالة توفر للشباب الكثير من الفراغ. لقد خلق الله هذه الأيدي لتعمل فإن لم تجد في الطاعة عملان وجدت في المعصية أعمالا، فالإنسان الفراغ من العمل –الشاب خصوصا– يوجه خطر الانحراف والوقوع ضحية الآفات الاجتماعية كإدمان المخدرات والكحول ما يجعله أكثرا قابلية للانخراط في أعمال العنف، كما أن حالة الركود الاقتصادي للدولة لا تعبر في جوهراها عن ركود مالي وفقط، بل تعبر عن ركود وتدني في مختلف أركان الدولة فالدولة المتخلفة اقتصاديا يترافق تخلفها الاقتصادي مع حالة من التخلف العام، والتخلف بدوره يؤثر سلبا على التنشئة الاجتماعية للأفراد، حيث تعاني هذه المجتمعات من "الموروثات الثقافية الخاطئ، فتنتشر فيها جرائم الثأر وجرائم الشرف، وبحسب الإحصاءات، فإن أكثر من خمس ملاين امرأة تتلقى حتفها كل عام، بسبب ارتكاب جرائم الشرف"[1] في العالم. كما أننا نجد هذه المجتمعات المتخلفة تعاني بشدة من ظاهرة العنف الأسري بسبب ما تواجهه الأسرى من صعبات مالية تترافق مع العديد من عوامل التخلف الثقافي والحضاري، بالإضافة إلى عديد العوامل النفسية، كشعور عام بالضغط الناتج عن المسؤوليات الأسرية المتراكمة على عاتق الأبوين، وبحسب الدراسات "فإن العنف الأسري هو أكبر مسببات العنف المجتمعي، فممارسة العنف من قبل الأبوين على الطفل، تحرض ميوله إلى العنف والعدائية، وكما هو معروف، العنف يولد العنف"[2]،

---

[1]: مديحة أحمد عبادة، خالد كاظم أبو دوح: العنف ضد المرأة –دراسات ميدانية حول العنف الجسدي والعنف الجنسي– دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، ط1– 2008، ص: 23.

[2]: محمد جواد رضا: ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة –تفسير سوسيو سايكولوجي–، مجلة عالم الفكر وزارة الإعلام الكويت، ع:3– أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1974، ص: 74.

وبمجرد أن تبدأ سلسلة العنف –التي عادة ما تبدأ في الأسرة النواة الأساسية للمجتمع– حتى نجد أنفسنا داخلة دوامة صراع عنيف مستمر ومتكرر يمس بكل مناحي الحياة الاجتماعية.

ب: الأسباب السياسية للعنف: يحرك الفساد والاستبداد السياسي إذا تحول إلى واقع مهيمن على مجتمع ما العنف على ثلاث مستويات، ففي المستوى السلطوي: فعادة ما يترافق الاستبداد مع الصراع على السلطة، فيتنازع الأشخاص الموجودين في أعلى هرم الحكم السلطة ويستعملون في سبل الوصول غليها مختلف السبل بما في ذلك سبيل العنف، فتنتشر في الدولة الاغتيالات السياسية والانقلابات العسكرية. أما في المستوى الاجتماعي فإن الأفراد الواقعين تحت ظلم السلطة سيظلم بعضهم بعض كمحاولة للتعويض وليشروا بأن لهم شيئا من القوة، إن الديمقراطية والحرية وما يترفق معهما من مقولا احترام الآخر تأتي من واقع الجماعة ومن تنشئتها لا من السلطة الحاكمة فيها وكذلك الاستبداد، فإذا كان الحاكم مستبدا سيستبد كل ذي سلطة على من دونه يستبد المدير في المؤسسة التربوية بالأستاذ وموظفيه، ويستبد الأستاذ والموظف بالتلميذ ويستبد التلاميذ بعضهم على بعض، والمسئول والأستاذ والموظف الواقع تحت استبداد السلطة رب أسرة قبل أن يكون موظفا وليشر بشيء من ذاته ستجده يستبد بأفراد تلك الأسرة ويمارس عليهم سلطته يعنف زوجته التي بدورها طفلها الذي يقع للأسف تحت ظلم وعنف الأستاذ والأب وكل عناصر المجتمع، ولك أن تتصور أي مسئول وأي أب ذلك الذي سيكونه طفل نشأ في هكذا وضع. كذلك فإن الاستبداد والفساد السياسي، هو المسبب الأول لحالة التخلف الاجتماعي والاقتصادي التي تخلق العنف خلقا، أضف لهذا وذاك أنه حيث ما وجد مجتمع يعاني فسادا وظلم السلطة فإن هذا المجتمع يواجه خطر الثورة وما يترافق نعها من عنف غالبا، ومثال الثورات العربية في تونس وسوريا وليبيا ومصر، والجزائر ليس ببعيد.

يبدو أن العنف مهما تغيرت أشكاله وتباينت ألوانه، هو نتاج حلاقة فساد تتكرر وكلما تكررت تأزم الوضع أكثر، في بداية القصة تغيب قيم الديمقراطية والتعدد والحية واحترام الآخر على مستوى السلطة فيولد الاستبداد. والاستبداد يكبح الإبداع فيحول دون التقدم الحضاري للأمة فيدفع بها إلى التخلف دفعا. حين يتزاوج الاستبداد والتخلف يولد الفساد، والفساد إذا عم في مجتمع أو دولة دفع بها إلى الفقر دفعا، فحيث ما كان هنالك نظام شمولي فاسد وجدت الثروة في يد قلة ممن يعتلون هذا النظام، ووجدت الفقر حالة عامة يعيشها الأفراد وتزداد حدة يوما بعد يوم، وأينما كان الفقر كان الجوع، والجوع هو الوالد الشرعي للعنف الاجتماعي والسياسي لأنه سبب الجريمة، وسبب الثورة.

4-2: العوامل المحركة للعنف:

العنف من حيث الجوهر، قوة كامنة وطبيعية في النفس البشرية، تستثار إذا ما توافرت لها الظروف السياسية والاقتصادية المناسبة لتثور، لكن يا ما يدعوا للانتباه هو أن مجرد توافر الظرف أو السبب للعنف لا يخلقه، فعلى المستوى السياسي مثلا: قد يولد الاستبداد والظلم والفساد السياسي خنوع وخضوع الجماهير بدل الثورة، كذلك فعلى مستوى فإن تعرض طفل ما للتنمر أو العنف الأسري قد يجعله -أحيان- يميل نحو اللطف القريب من الجبن أكثر مما يميل إلى العنف ويعود هذا إلى عوامل سايكولوجة وثقافية تحرك النزوع العنيف في الإنسان، وتخرج به من حالة الاستعداد للعنف إلى حالة فعل العنف، نتحدث هنا عن السبب الذي يجعل الفعل العنيف يحدث في لحظة بعينها، رغم أن السبب المؤدي إليه اجتماعيا كان أو اقتصاديا أو سياسيا كان موجودا قبل ذلك، وهو ما نعنيه بالعامل المحرك للعنف.

أ: **اليأس والأمل محركان للعنف:** لا يثور الإنسان على الوضع الذي يعيشه ويقبع تحته إلا إذا وجد في نفسه شعورا بالظلم فمتى ما شعرت الطبقات الفقيرة في المجتمع بأنها مظلومة اجتماعيا أو

سياسيا ستقوم بالثورة، ومتى ما شعر الفرد بالحرمان سيمارس العنف، في محاولة للحصول على وضع أفضل فالثورة إذا والعنف عموما هما يرتبطان بالرغبة أو بالحاجة إلى تغير الوضعية الذاتية للفاعل وهذه المحاولة لتغير أو تصحيح الوضعية الذاتية ترتبط بحالة من الأمل أو اليأس فكلا منهما يحظر هاهنا، بوصفه كيان/وجود فاعل، وليس سلبيًا، هو ممارسة عملياتيّة تجاه الفاعلية التاريخيّة للأنا والنَحْنُ، أي تجاه معنى وجودهما في الزمن[1]. ففي كل ثورة أو ردف فعل عنيف يعيش الفاعل فردا كان أو جماعة حالة يأس وحالة أمل، يأس من إمكان تحصيل المرغوب بالطرق السلمية الآمنة وأمل في الحصول عليه بالقوة، فهو يائس من الحياة وآمل فيها.

يائس منها إلى حد المخاطرة بكل شيء ليعيش، فالذي يمارس العنف يجازف بأن يكون أول ضحاياه ولو لم ييأس منها لما خاطر هكذا مخاطرة. وهو إذ يخاطر يعبر عن حالة من الأمل في العيش والتغير فلو لا أنه يأمل لما خاطر أي أن الثورة والعنف هما محاولة لخلق المعنى حين يغيب المعنى، معنى مقاومة "تتصدر فعل العنف بل وإرهاب، لأن الأمر يتعلق بمفهوم الشرعية وغير الشرعية"[2]. المقاومة بالقوة هاهنا تأخذ معنيين، أحدهما مشروع والأخر غير مشروع، فإذا كان الاستبداد والحرمان والتفاوت الطبقي والمادي أمورا طبيعية فإن هذا يجعل الثورة والكل فعل عنيف يقم به فرد أو جماعة لتغير هذا الوضع الذي يضعه أسفل غيره إرهابا مشروع، وإن كانت غير مشروعة فالثورة وكل عمل عنيف يقوم به الأفراد أو الجماعات لتغير هذا الوضع يدخل في إطار العنف المشروع.

[1]: عبد الله البايري: ثورة يناير: الأمل باعتباره ممارسة واليأس بوصفه موقفا، 30 يناير 2018، منبر ضفة ثالثة الاليكتروني، ت.ع: 04-05- 2022، على الرابط: https://diffah.alaraby.co.uk/diffah//opinions

[2]: سامي غابري: مقال: معضلة العنف عند حنّة أرندت، جامعة تونس، دط، د.ت، ص: 11.

وهذا المعنى يتغير من منظور الفاعل، ومنظور الموضوع فالأنظمة ترى الثورة إرهابا وقمعه حق. والثائر يرى الاستبداد إرهابا والثورة عليه حق. كذلك الجائع الكادح البطال يرى مال الغني سرقة وظلم وسلبه إياه حق، والغني يرى في سرقة الجائع ظلم واعتداء.

ب: الثقافة محركا للعنف: تساهم المقولات الثقافية الكامنة في لا وعي الأفراد في تحريك العنف فيهم أو كبحه. مثلا: يمكن للتصوف حين يهيمن على التصور الثقافي للجماعة أن يكون عاملا أساسيا في كبح الثورة وكل الأفعال العنيفة من قبل الأفراد والجماعات لما ترتبط معه الفكرة الصوفية من "العكوف على العبادة والانقطاع لله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور لذة ومال وجاه"[1]، والتنازع عن هذه هو السبب الأول والأخير للعنف، وبالمقابل فإن تحكم هيمنت النزعة المادية على الروح العامة للجماعة يمكن أن يكون عاملا مهما في نزوعهم نحو العنف لارتباطهم بالماديات حيث "يشير بعض علماء النفس إلى الربط بين تطورات العولمة وظاهرة العنف، ونشوء الرغبة في تحقيق الرفاهية والمتعة، والرغبة في الامتلاك،... بمختلف السبل مما يعزز النزعة العدائية لدى بعض البشر"[2]، بالإضافة لكل ذلك فإن العنف كثيرا ما يرتبط بالعديد من المقولات الثقافية كالعصبية والثأر والفحولة، حيث ترتبط كلمة الجل والفحل في الكثير من المجتمعات وفي كالمجتمع الجزائري بفكرة القوة والشدة، ما يجعل الأفراد معدين ثقافيا للنزوع نحو العنف.

العنف إذا ليس وليد الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحسب، وإن كانت هذه الظروف حقيقة تخلق البيئة الحاضنة والداعمة لانتشاره، فإن العامل النفسي السيكولوجي والعامل الثقافي يمثلان القوة الدافعة والمحركة للعنف، فالكثير من المقولات الثقافية والتصورات التي تحكم مجتمعاتنا اتجاه الواقع المعيش، واتجاه

---

[1]: عبد الرحمن ابن خلدون: ك**تاب العبر**، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2-1931، مج:1- ص: 683.

[2]: محمد جواد رضا: ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة -تفسير سوسيو سايكولوجي-، ص: 71.

الذات والآخر تتضافر لتركة القوة الغضبيّة الكامنة داخل النفس البشرية طبيعيا مستغلتا ظروف الواقع، بهذا فإن الانخراط في العنف أو مواجهته يصبح اختيارا إنساني. فالنظم الاقتصادية والنظم السياسية والاجتماعية، ومكونتا الثقافية والحضارية والغنى والفقر والفلسفة والفن والأدب... وكل المنجز الإنساني يمكن أن يَستعمل كوسيلة لتحريك العنف أو كبحه.

من هنا تأتي هذه الدراسة لتتناول حضور العنف وتمثله في واحدة من الروايات العربية التي أنتجتها بيئة مفعمة بمختلف العوامل والمحركات المساعدة على خلق العنف وتحريكه، هي البيئة العراقية، وسوف نقوم خلال هذه الدراسة بتحليل أشكال العنف في رواية "فرانكشتاين في بغداد" ورمزيتها، وعلاقتها بالبيئة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية العراقية وبطبيعة الفرد العراقي.

الفصل الثاني: تجليات العنف في رواية فرانكشتاين في بغداد.

1- العنف الديني

2- العنف السياسي

3- العنف الإجتماعي

3-1 العنف الجسدي

3-2العنف ضد المرأة

3-3العنف ضد الآخر

الفصل الثاني: تجليات العنف في رواية فرانكشتاين في بغداد.

ينشأ العنف عندما يتوقف العقل عن القيام بوظيفته، حيث يلجأ الإنسان بسبب ضغوطات (داخلية نفسية، خارجية اجتماعية، سياسية..) إلى ارتكاب جرائم عديدة وعنيفة ضد نفسه، وضد الأخر من أجل تغير واقعه، والعنف ليس غريزة فينا بل يكون نتيجة تصرفات ومسببات تتحكم في وقوعه من عدمه، وأهدافه تكون من أجل تغير واقع ما إذا كانت موضوعية، أما إذا كانت ذاتية فلأجل التدخل في حريات الآخرين، والتحكم فيها من وجهة نظر معية.

سيطر العنف على كل أشكال المجتمع الإنساني وتوسعت مداراته لتحتل مساحة أوسع: من الذات والمجتمع والفكر والسياسة..، ومن بين هذه الأشكال نجد: العنف السياسي، والعنف الاجتماعي، العنف ضد الذات وضد الأخر، العنف الجسدي، العنف الديني، العنف ضد المرأة..

رواية فرانكشتاين في بغداد للكاتب "**أحمد سعداوي**"، من الروايات التي خاضت في هذا الموضوع بحيث: تعد هذه الرواية أنموذجا متميز يظهر مدى بشاعة العنف المتنوع الأشكال الذي عاشته بغداد، وما حمل من جرائم سلبت الإنسان العراقي هويته من جهة، وكنموذج متميز من حيث توافره على عوالم تخيلية عنيفة تجعلها تحمل مفهوما جديدا للعنف من جهة بشاعته، من اجل الكشف عن صوره الجديدة التي أنتجتها انحلال السلطة الأخلاقية وظهور سلطة جديدة تحكمها الفوضى، وتسيرها الجرائم اليومية المجهولة المصدر[1].

[1]: ينظر: أوقاشة شفيعة، الرد بالكتابة في الرواية العربية المعاصرة (أطروحة دكتوراه)، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2021-2022، ص: 101.

1: العنف الديني.

يشكل الدين باعتباره واحدا من أكثر المنظومات الرمزية –السائدة في مختلف المجتمعات الإنسانية– تعقيدا، نسق ثقافي ومعرفي يحدد وعي الأفراد والمجتمعات بالعالم والوجود، وعلاقاتها بهذا العالم، إن الدين بوصفة مؤسسة ثقافية تؤسس وعيا عقلانيا ذاتيا بعلاقة الإنسان والعالم، مبني على رمزية الخطاب وتعدد معناه وأحادية فهمه، كثيرا ما يستعمل لشرعنة غريزة الهيمنة والسلطوية والتسلط على الآخر من خلال تأويل النص الديني بما يتمشى وغرائز العنف والهيمنة في الإنسان داخل النسق الاجتماعي والتربوي، مستندا إلى الجدل السلبي بين الفرد وعالمة، قائم على قاعدة خضوع وإخضاع، فالإنسان يخضع النص أي: المعنى لأغراضه من جهة، ويخضع نفسه والآخرين من حوله لسلطة هذا النص من جهة ثانية[1]. من هنا يصبح الدين وسيلة من وسائل الإخضاع وكبح حريات الآخرين وترهيبهم، وبالتالي يصبح الدين –الاستخدام السيئ للنص الديني– وسلة من وسائل تأجيج العنف. والأدب بوصفه منظومة رمزية متباينة عن النص الديني لا تستمد قيمتها من قداستها وإنما من تحريكها للكامن في النفوس والواقع، ومحاولة الكشف عن المخبوء والمسكوت عنه، كثيرا ما يتعرض إلى محاولة الكشف عن أشكال استغلال الدين قصد إخضاع الأخر وتخوفه والهيمنة عليه، وهذا ما تقف عنده رواية فرانكشتاين في بغداد للكاتب العراقي أحمد سعداوي في الكثير من مشاهدها، ويتبين ذلك من خلال عدة مستويات تتمثل في:

---

[1]: عبد اللطيف الخمسي: قضية العنف ومسالة الإنسان، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، ذ.ط– 2015، ص: 7.

1-1: العنف الديني المادي.

في أول صفحات الرواية يثبت الكاتب هذا الاقتباس عن قصة ماركوركيس ذلك رجل الذي ولد سنة 280م بمدينة اللُّد الفلسطينية[1] آمن بالمسيح فعذبه الملك الروماني الذي كان يحكم المدينة لمدة سبع سنوات في غرفة مظلمة، وفي كل يوم يشفيه الرب من جروحه ويعينه على تحمل ألامه، وبعد مرور سبع سنوات من التعذيب ضجر الملك فأمر "بوضع القديس في معصرة الزيت حتى تهرآ لحمه وأصبح جسده أجزاء متناثرة حتى فارق الحياة ، فطرحوه خارج المدينة، لكن الرب يسوع جمعه وأقامه حيا، وعاد ثانية إلى المدينة"[2]، لكن الملك أصر على محاولة قتل الرجل فأمر بقطع رأسه، فمات القديس سنة 313م[3]، يقدم هذا الاقتباس الذي يستعيره السارد من التراث المسيحي مثالا عن كيف يمكن للاختلاف الديني أن يغدو مبررا لممارسة العنف بأقسى أشكاله على الأخريين، كما نلاحظ استمرار هذا الحضر للعنف المبرر بالتصورات الدينية على طول الرواية، فبينما كان "هادي العتاك" يستمر في سرد حكايته عن "شسمه" في مقهى عزيز المصري، "انفجرت سيارة ملغمة أمام أحد مقار الأحزاب الدينية في حي الكرادة، وقتلت بضعة مواطنين من المارة وقتلت ناهم مع حصانه وخلطت لحمهما معا"[4]، هذا المشهد يحتوي على مفارقة لا فتة فضحيا الصراعات الدينية في العراق هم من العوام لا من رؤساء وممثلي تلك الطوائف فرغم أن السيارة المفخخة كانت تستهدف مقر الحزب

---

[1]: الأب مديان شامل: قصة القديس ماركوركيس، برنامج: قديس من تقويمنا، كنيسة انتقال مريم العذراء، بغداد –العراق، 15-05-2022، يتوب على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=SJhYerL1TE8.

[2]: أحمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، دار الجمل، بيروت لبنان، 2013، ص:06.

[3]: الأب مديان شامل: قصة القديس ماركوركيس، برنامج: قديس من تقويمنا، كنيسة انتقال مريم العذراء، بغداد –العراق، 15-05-2022، يتوب على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=SJhYerL1TE8.

[4]: الرواية: ص: 32.

الديني إلا أنها، أصابت كل شيء حتى الحيوان أخذت نصيبها منه دمرت العمارات المجاورة وخلفت حفرة في الطريق وقتلت بعض المارة من العوام، وحتى الحيوان لم يسلم منها فقد قتلت حصان "ناهم" وخلطت لحمه بلحم فارسه، لكن السارد لم يذكر أن مقر الحزب الديني قد تضرر أو أن أحد أعضائه قد أصيب أو قتل، كأنها قنابل تصيب كل شيء إلا هدفها، فهي ليسب بحرب على دين أو حزب بقدر ما هي حرب على الشعب العراقي الذي يدفع وحده ثمنها.

بمجرد أن يبدأ احتفال ديني في بعداد فإن حياة الناس تتعطل تماما، حتى أولائك الذين لا يعتنقون ديانة المحتفلين تتعطل حياتهم، تتوقف مسيرة الحياة، فمن جهة الشوارع تزدحم بحيث يتعذر على الناس أن تصل إلى غايتها، حمل هذا الوضع "السعدي" على السفر "هربا من أجواء الطقوس الدينية داخل بغداد التي تتعطل بسببها الحياة"[1]. من جهة ثانية فأوقات الاحتفالات الدينية هي الأوقات المفضلة لدى الطوائف المتقاتلة في الشوارع لتصفية حساباتها، إذ قلما يتهيأ لجماعة ما فرصة اجتماع الآلاف من أتباع الطائفة الأخرى في ذات الزمان والمكان، فهي لن تحتاج إلى أكثر من شائعة عن وجود انتحاري بينهم وسيتكفل الخوف بالباقي، وهذا ما حدث خلال احتفال الشيعة بذكرى استشهاد الإمام موسى الكاظم ، حيث انتشرت إشاعة بوجود انتحاري بين الحشود التي كانت تحاول عبور الجسر فعم الخوف وبدا الناس بالتدافع والقفز من الجسر وهكذا كانت الكارثة "إنها أكبر مصيبة حلت بالعراق حتى اليوم، كما يقول أبو أنمار. حوالي ألف شخص يقتل غرقا أو دعسا بالأقدام من دون أن يعرف أحد من هو المجرم الحقيقي"[2]، يستحضر السارد هذه الحادثة الحقيقية التي ألمت بالعراقي في الواحد والثلاثين من شهر أوت سنة ألفين وخمسة، حيث ساهمة ظروف فانتازية عجيبة في مقتل ما يزيد عن الألف شخص، فقد قامت القوات الأمنية العراقية بنصب حاجز

---

[1]: الرواية، ص: 131.

[2]: الرواية، ص: 136.

أمني لتغلق أحد أطراف جسر الأئمة الرابط بين منطقتي الأعظمية والكاظمة، واحتشد ملايين الزوار الشيعة الذين يذهبون مشيا نحو مرقد الإمام موسى الكاظم بمدينة الكاظمية، لكن ستنتشر شائعة بوجود انتحاري على الجسر بين الحشود، فيبدؤون بالتدافع فيقفز بعضهم عن الجسر إلى نهر دجلة فيهلك غرقا، ويهلك بعضهم الأخر تحد دَعْسًا بأقدام إخوتهم المرعوبين، كأن السارد يقول لنا أن كل شيء في العراق يمكن أن يجلب الموت معه، حتى مواسم الفرح والأعياد والاحتفالات الشعبية، التي يفترض أن تكونا محطة تنفيس تتحول فجأة إلى مأساة وموت.

1-2: العنف الديني اللغوي.

في هذا المستوى تصبح اللغة والخطاب وسيلة لممارسة العنف الديني، ويتجلى ذلك من خلال الدعاء على الأخر، كما فعل "أبو أنمار" وهو يرفع يديه "كأنه يؤمن على الكلام الروحاني الذي نطق به الدلال (فرج الدلال)، وربما كان يدعو فعلا، ويقول في نفسه {{الله ياخذك}} قاصدا هذا الدلال الجشع الذي جلبه القدر ليكون أمامه على مدار الساعة"[1]، فأبو نمار هنا، يريد الخلاص من الأخر الممثل في فرج الدلال بكل وسيلة لكنه عاجز على أن يفعلها بنفسه، فالتجأ إلى الله يدعوه أن يقبض روحه، ليس فقط الذي يقتل مجرم المجرم الأخطر هو ذلك الذي يتمنى الموت لكل من يتقدم عليه، لأن من كان قلبه هكذا يكون مفعما بالكراهية والحقد والحسد وهذه الثلاث علل كل جرم في الإنسان، أنها عناصر أساسية للجريمة، فيبدوا أن الكاتب يؤكد مرة على صحة قول الساحر لشسمه: "إن كل شخص فينا لديه نسبة من الإجرام تقابل نسبة معينة من البراءة"[2]. يظهر استعمال اللغة كوسيلة للعنف الديني كذلك من خلال سلوك "أم دنيال" التي "سمعت بمقتل أبي زيدون فشكرت الله مع نفسها، واستحضرت أحد نذورها المثيرة، عشرون شمعة توقدها أمام مذبح العذراء

---

[1]: الرواية، ص: 22.

[2]: الرواية، 171.

في كنيسة الأرمن المجاورة"[1]، لقد تحول الدعاء والشكر والنذر، من عبادات يتقرب بها العبد من ربه، ويرجوا من خلالها تحقيق آماله الطيبة لنفسه، والتجاوز عنه في ما كان نن تقصيره، والتقرب منه سبحانه وتكفير ذنوبه، تحول من كل ذالك إلى سلاح نشهره في وجوه الأخريين، تتحول العبادة من علاقة محبة بين الرب والعباد إلى علاقة حرب وصراع وتصفية حسابات بين العباد والعباد، إننا نحول الله من معبود نتقرب إليه بالطاعة والعبادة والعمل الصالح إلى سلاح نشهره وجوه الأخريين. لقد أصبح الله بالنسبة غلى كل منا حليف حرب أكثر منه كيانا مقدسا يعبد ليرضى وينعم علينا.

1-3: العنف الديني الرمزي:

تقول أم سليم في الأول من الرواية: "إن هذا الحي من حظه أن ينهار ويخسف الله به الأرض منذ زمن بعيد لولا بعض سكانه المباركين ومنهم أم دانيال"[2]، لا تبدو هذه العبارة على أنها تحمل في طياتها معاني عنيفة، بقدر ما تحمل من معاني المدح التي تغدق بها "أم سليم" على "أم سليم"، حتى إنها لتجعلها بمقام القديس المسيحي أو الولي المسلم الذي يجعله الله سببا لحفظ الناس، لكنها في وجهها الثاني مفعمة بالعنف، إن أم سليم بقدر ما تؤمن بأن "أم دنيال" امرأة صالحة تستحق أن تُرحم ويُرحم الناس بها، تؤمن بأن من باقي سكان الحي مستوجبون للعذاب مستحقون للبلاء فالحي كله (من حظه أن ينهار أو يخسف الله به الأرض)، تتحول أم سليم هنا من إنسان إلى إله يحكم على الناس، ويقضي عليهم فيقول أن هذا مستحق للرحمة، وذلك مستوجب للعذاب، لقد منحت أم سليم لنفسها الحق في تصنيف الناس وإعلان موقفها منهم على أنه موقف الرب. هذه العبارة التي نطق بها تحمل من الذم والقدح في الأخير أكثر بكثير مما تحمل من المدح والإعجاب بأم دنيال.

---

[1]: الرواية، ص: 95.

[2]: الرواية: ص: 15.

بشكل مختلف يظهر العنف الديني الرمزي في الرواية من خلال التسمية التي أطلقها السكان على البيت المنهار بشكل شبه كلي والذي يسكنه "هادي العتاك"، بعد أن قام رفقة صديقه "ناهم" ب: "إعادة ترميم ((الخرابة اليهودية)) كما كانت تسمى، رغم أنهم لم يروا فيها أي شيء يهودي، لا شمعدانات ولا نجمات سداسية ولا حروف عبرية"[1]، فعلى الرغم من عدم وجود أي شيء يربط تلك الخرابة باليهود إلا أن سكان المنطقة ربطوها بهم، لا لأنهم سكنوا البيت قبل أن ينهار أو لأنه فيه شيء من رموز اليهود فالبيت كما يظهر في الاقتباس، كان فقط مجرد بيت خرب تماما لدرجة أنه حتى فرج الدلال الذي كان يضع يده بالقوة على كل بناء فارغ في المنطقة، وعلى بعض الأبنية التي العامرة التي ينتزعها من أصحابها بالقوة أو بالحيلة أو برضاهم، لم يهتم بان يستولي هاذي العتاك على ذلك البيت "وظل المكان بالنسبة له مجرد ((خرابة يهودية)) كما كان شأنها دائما"[2]، فالمكان يستمد يهوديته من خرابه وتفاهته وحقارته لا من كونه يهودي أصلا، إنه الربط العشوائي بين الأشياء التي لا تعجبنا والإنسان الذي لا يعجبنا، فكأن لفظ خرابة لم يكفي سكان المنطقة للتعبير عن حقارة المكانة، فهودوه ليعبروا عن حقارته تماما فنلاحظ أن السارد يثبت هذا الالتصاق بين الخرابة واليهودية فيضها كلما كتبها بين مزدودين مضاعفين هكذا ((خرابة يهودية))، تماما كما تعود العرب على الجمع بين كل ما هو قبيح وما هو يهودي فنصف قبيح الأفعال بالتايهوديت، ونصف قبح الطلعة باليهودي وصف العراقيون هذه الخرابة بأنها يهودية إمعانا في احتقارها فجعلوا منها رمزا للاحتقار العربي لليهود.

هكذا يستعمل الدين كغطاء لعنفنا، إننا نستعمله لتبرير عداواتنا وأنانيتنا وكل جرائمنا نعلقها على شماعة الدين، نجعل الله الذي حرم علينا الظلم علة لظلمنا ونخترع المبرر الذي يرضينا عن أفعالنا، ثم لا

---

[1]: الرواية: ص: 30.

[2]: الرواية ص: 31.

نبالي هل هي أفعال يرضاها الله حقا، حتى شسمه الذي يقول أنه: "أنا الرد والجواب على نداء المساكين...، سأقتص بعون الله والسماء من كل المجرمين. سأنجز العدالة على الأرض أخيرا...، هل سأكمل المهمة لا أعرف، ولكن سأحاول، في الأقل، أن أنجز أمثولة القصاص. قصاص الأبرياء الذين لا ناثر لهم،"[1] فإنه لا يلبث أن يتخلى عن كل هذه المزاعم حين يهدد الخطر وجوده ويفقد عينيه اللتان ذابتا وسقطتا بعد أن أغلق حساب الضحية التي أخذتا منه، وعندما فقد بصره في الطريق وعرف أنه لن يستطيع أن يعود للبيت الذي يسكنه، وأنه ربما يموت في ذلك المكان الذي هو فيه قبل أن يكمل مهمته رفع المسدس وها هو عبر تسجيلاته يحدثنا عما فعل فيقول: " رفعت المسدس بيدي وصوبته باتجاه العجوز البريء. إنه بريء بكل تأكيد، وليس مثل اؤلئك الذين يحملهم المجانين الثلاثة إلي من اجل صيانة وترميم جسدي. أطلقت إطلاقة واحدة من المسدس أثناء ما كان كل شيء يغيب عني."[2] وبعد أن قام باقتلاع عيني العجوز ووضعهما في محجري رأسه ليعوض العينان اللتان فقدهما سارع إلى تبرير فعله ذلك باسم الله فنراه يقول: "نجحت في تركيب العينين الجديدتين،... شاهدت العجوز البريء، وخطر في بالي شيء تشبثت به، لأنه الحقيقة التي كنت ابحث عنها. فهذا الرجل نعجة ساقها الرب باتجاهي. إن اسمه هو البري الذي سيموت الليلة، هكذا إذا كان سيموت بعد دقائق من الآن، بعد نصف ساعة لا أكثر. ستناله رصاصات المتصارعين حتما ويموت...، لم اقم إذا إلا بتسريع الموت كان ميتا سلفا."[3]. هكذا نسارع لخلق مبررات لا نمتلك دليلا على صدقها إلا حاجتنا إلى تصديقها، نرى العدالة في ما نريد أن نراه عادلا، نؤمن بعدالته فقط لأنه يبعث الطمأنينة في نفوسنا ويقوي إيماننا بأننا أفضل من غيرنا، سنفعل ما نريد ونبرره بأن الله هو الذي أراده سنجد

---

[1]: الرواية، ص: 156-157.

[2]: الرواية، ص: 177.

[3]: الرواية، ص: 178.

ذلك من خلال تفسيرنا الخاص لأية من القرآن، أو تأويلنا الشخصي لحلم رأيناه، ربما عن طريق تفسيرنا لحركة حيواننا الأليف...، المهم أننا نجد طريقة ما لنقنع أنفسنا بأن من العدالة أن نفعل ذلك، وانه لدينا الحق الكامل في قتل من نحتاج إلى قتله، "فهذا يقوي إيماننا ويعطي روحنا الذاوية الطاقة التي تحتاجها للاستمرار بالحياة"[1]، بهذا تتجزأ العدالة التي نبحث عنها في هذا العالم، وتضيع بين الأهواء والأفهام والرغبات الفردية فلكل منا عدالته الخاصة التي تخدم مصالحه الخاصة والتي يوجد لها حججها الخاصة والمقنعة ف: "تضيع بين الرجلين ولا تتحقق على الأرض أبدا"[2]، لأن العدالة التي يكون الإنسان مقياسها الوحيد، هي أعظم ظلم، ومشيئة الله التي تكون رغبة الإنسان وحاجته دليلها الوحيد، هي أعظم مشيئة للشيطان، أما عدالة الله حقا فهي عدالة الإنسانية، ومشيئة الله حقا في مشيئة الإنسانية، لكن تبقى قدرة البشر على تلبية مشيئة الإنسانية جميعا بوصفها مشيئة الله الوحيدة، وتحقيق العدالة للإنسانية جميعا بوصفها عالة الله المطلقة محل شك.

2: العنف السياسي:

في مجتمعنا توجد سلطة سياسية تحكم الجماعة البشرية وتمثلها وتسعى لتحقيق حقوقها، ويتم اختيار أعضاء هذه السلطة حسب إرادة المجتمع واختيار أفراده لذا تناول "**سعداوي**" في هذه الرواية الكثير من المواضيع السياسية وطرحها من عدة وجهات ليكون لنا صورة كاملة يمدنا برؤية حول ما عاشه هذا الشعب وطبيعة علاقته بالدول، سواء أعربية كانت أو أجنبية.

2-1: الإرهاب والعنف السياسي:

إذ نقلت لنا رواية "**فرانكشتاين في بغداد**" الفترة السياسية الساخنة التي عمتها الفوضى والقتل المجاني دون معرفة المصدر. إذ لم تصدر الحكومة قرارا صارم حول هذه التجاوزات، فقد شهد الواقع العراقي نزاعات

---

[1]: الرواية: ص: 95.

[2]: الرواية، ص: 160.

حول السلطة ويظهر ذلك في هذا القول: "ثم ظهر ناطق باسم الحكومة يتحدث يبتسم ويرد على أسئلة الصحفيين مؤكدا أنهم افشلوا مخطط الإرهابي لهذا اليوم، فحسب المعلومات الإستخباراتية كان هناك مئة هجوم لسيارات مفخخة خططت للقيام بها عناصر القاعدة وفلول النظام السابق، إلاّ أنَّ قيادة فوات التحالف والأجهزة الأمنية العراقية أجهضتها جميعا، ولم يكن هناك سوى خمسة عشرة تفجيرا فقط"[1].

وهذا يظهر لنا جليا مدى التوتر الذي كان يعيشه ولا يزال يعيشه الإنسان العراقي الذي لا يعرف من يكون فنجده متشضيا عن ذاته الضائعة وسط الفوضى والضياع بين عقليات مختلفة تسترك جميعا في فكرة واحدة وهي أن العنف من أنجح الوسائل للوصول إلى السلطة حيث يدخل كل الناس في حلبة العنف، فالعنف أصبح الأحكام على كل الأصعدة"[2]، إذ رافق الشعب العراقي بداية من ديكتاتورية الحاكم "**صدام حسين**" إلى الغزو الأمريكي للعراق، وصولا إلى سقوط السلطات وظهور الفتن والأقليات، وهذا ما أدى إلى ظهور "داعش" (الدولة الإسلامية في العراق والشام) الذي يمثل الفرد العراقي الجديد الذي يسيره العنف الناتج عن الفوضى وغياب القيم[3].

وفي هذا الصدد يقول "**أحمد سعداوي**": "أخبره صاحب مكوى الأخوين بأن الشرطة تداهم البيوت منذ الصباح، بحثا عن عصابات مسلحة تقوم بتهريب النساء إلى خارج العراق. قال له عامل الفرن صمون أن هناك إرهابيين قادمين من المحافظات يسكنون في أحد فنادق المنطقة، والشرطة والأمريكان يبحثون عنهم ويفتشون الفنادق تباعا"[4]. رواية فرانكشتاين تكشف وجه من وجوه العنف السياسي الذي يراد به خلق عنف وجودي من شأنه أن يزرع الرعب والمعاناة في نفوس الأفراد الذين أسبحوا أجسادا فارغة لا روح لها، فيقول

---

[1]: الرواية، ص: 38.

[2]: جان بودريان، ادغار موران، عنف العالم، تر: عزيز توما، دار الحوار للنسر والتوزيع، سوريا. ط1، 2005، ص:112.

[3]: ينظر: أوقاشة شفيعة، ص: 110.

[4]: الرواية، ص: 67.

السارد: "كلهم انتبهوا للانفجار في اللحظة التي غدا فيها كتلة من اللهب والدخان تأكل السيارات وأجساد البشر المحيطين بها، وتقطع عددا من أسلاك الكهرباء وربما قتلت عددا من العصافير والطيور"[1]، وهذه الأوضاع سبب في زيادة حجم الكبت لدى الفرج العراقي الذي انفجر مباشرة بعد مغادرة الاحتلال فأصبح الكل يسير في اتجاه المجهول[2].

2-2: نظرة السياسة للمجرمين:

سلط "**أحمد سعداوي**" الضوء على الطريقة التي تنطلق منها السياسة في فهم الجرائم أو الوقائع التي ترتكب في الشارع العراقي، ففي الوقت الذي تطلق فيه الحكومة سياستها الخاصة في تحديد المجرم ووصف الجريمة وإيقاع العقوبة عليه، يكون ما وصف بالمجرم في نظر نفسه ونظر الآخرين غير مرتكب لما قد نسب إليه، لأنه يجد جرائمه أفعالا مضبوطة من منطلق الفعل ورد الفعل أو الانتقام أو غير ذلك ونفى عن نفسه ما وسم به من صفة: "في الحادي والعشرين من شباط عام 2006، أعلنت القيادات الأمنية العليا في بغداد عن إلقاء القبض على المجرم الخطير الذي تسميه بعض التقارير ب: "المجرم أكس"، ويسميه الأهالي "الشسمه" وله أسماء أخرى عديدة. هذا المجرم كان مسؤولا عن عمليات قتل مروعة جرت على مدى العام الماضي داخل بغداد، أصارت الرعب والهلع في نفوس الناس، الأمر الذي هدد العملية السياسية كلها بالانهيار. عرضوا صورة كبيرة له من خلال عارضة الشرائح على شاشة كبيرة. ونطقوا اسمه، إنه المجرم هادي حساني عيدروش. من سكنة حيى البتاويين في بغداد، والملقب بهادي العتاك"[3].

---

[1]: الرواية، ص: 28.

[2]: ينظر: أوقاشة شفيعة، ص:111.

[3]: الرواية، ص: 346-347

إن الشسمه أو أيا كان اسمه أو لقبه، لا يعدوا كونه مجرما خطيرا على أمن الدولة، ومواطنيها في نظر القانون، وفي نظر العراقيين، لأن أفعاله ظهرت لهم بصورة جرائم فضيعة لا تبرر ولا تغتفر، لكن الأمر نفسه بدا مختلفا من منظار آخر، فالشسمه ومن اتبعه يستطيعون بسهولة أن يبرروا أفعاله، بل يتحولون من فعل التبرير إلى فعل الاستقامة فيها، محاولة افتعال أحداث تدفع ما قام به الشسمه للنمو والتزايد أكثر، لأنهم رأوا في أنفيهم الظلم واقعا وطاغيا، ووجدوا في الشسمه قاتلا ومحرر لهم، كما جد الشسمه في نفسه مخلصا وآخذا بثأر نفسه وبثأر الآخرين.

2-3: السياسة والدين:

السياسة والأنظمة تنبثق من أصل الدين وتعود إليه مطبقة لأنظمته وتعاليمه التي ينص عليها، ولكن هذا الأمر بدأ يتلاشى أو ينحرف في طرقة أدائه نظرا لتعارض الأهداف السياسية مع مبادئ الدين، أو محاولة السياسيين الالتفاف حول الشرائع الدينية لتغدوا مناسبة ومؤيدة لكل الأهداف التي يسعون لها: "للأسف لم يبلغ ناهم سنا يختبر فيه مدى متانة فروة رأسه كما يؤكد له هادي دائما، قبل بضعة أشهر من جلسة هادي العتاك في مقهى عزيز المصري أمام محمود السوادي وبعض الرجال العجائز وهو يكمل سرد قصته الخيالية، انفجرت سيارة ملغمة أمام أحد مقرات الأحزاب الدينية في حي الكرادة، وقتلت بضعة مواطنين، من المارة وقتلت ناهم وحصانه وخلطت لحمهما معا"[1].

إن السياسة باتت تحارب الدين حيث يقف الاثنان متواجهين متقابلين في حالة تأهب لعراك أو حرب طاحنة بدلا من أن يقفا متعاونين، كما أن الدين فقد معناه وسموه وهدفه، وبات آلة مسيرة يستخدمها الكثيرون لتبرير أفعالهم وإجبار غيرهم على الموافقة عليها باسم الدين وسطوته وسلطانه، الأمر الذي يجعل الشارع العام ينسب الإرهاب للدين والسياسة.

---

[1]: الرواية، ص: 32.

3: العنف الاجتماعي:

يعرف الإنسان بطبعه الاجتماعي وبتفاعله مع الآخر، ولكن هذا التفاعل قد يكون ايجابيا وقد سكون سلبيا، وبوجود نظم وقوانين تؤطر التفاعل الاجتماعي، للمحافظة على تعايش الأفراد سلميا، فإن أي خرق أو خروج عنها يعد عنفا، ويقصد بهذه الظاهرة استخدام الضغط أو القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة الفرد، ومن هذه القوة والضغط تنشأ الفوضى، فلا يعترف الناس بشرعية الواجبات ما دامت الحقوق غير معترف بها، فتنتشر العلاقات العدائية في المجتمع[1]، فيحدث أن يتحول المجتمع إلى مكان صراع وفرض للسيطرة على الأفراد لأجل المطالبة بالحصول على حقوق، على حساب الواجبات.

تحاول رواية "فرانكشتاين" استعراض أوجه العنف الاجتماعي الذي عانت منه العراق، ضمن ثنائية الأنا والأخر مما "أسهم في تفكيك النسيج الاجتماعي وخلق التنافر بين أفراد المجتمع الواحد حيث تقلص فضاء الحرية وتزايد القمع، وازدادت أسس العنف والطغيان رسوخا، ونحن اليوم أقل تدينا وتسامحا وأكثر طائفية وتعصبا، وأقل انفتاحا وتقبلا للآخر المختلف وأشد ظلامية وانغلاقا"[2]، هذه هي تركيبة العراق التي جسدها الكاتب في هذا المخلوق الغريب الذي يجد كل عراقي نفسه فيه باعتباره اللغز المحير[3]، "الذي تحوم حوله الأشباح راقدة في جسده من دون أن يشعر بها الإنسان تحمله معها أينما ذهب، ويمكن أن تظل على حالها

---

[1]: مدحت مطر، تنامي ظاهرة العنف في المجتمع وعلاجها، ص: 48.

[2]: أدونيس، فاتحة لنهايات القرن، دار التكوين للنشر، سوريا، ط3، 2010، 71.

[3]: ينظر: أوقاشة شفيعة، الرد بالكتابة في الرواية العربية المعاصرة، ص: 111.

هذا وكأنها شيء غير موجود بالمرة وتصاحب الإنسان إلى قبره، ويمكنها أن تستيقظ وتحرر نفسها قليلا وتطوف خارج جسد الإنسان في حالة واحدة: الخوف. إن اسمها حسب كلام المنجمين توابع الخوف"[1].

3-1: العنف الجسدي:

قسوة النظام السياسي القائم في العراق 2003م، وزوال السلطة المركزية نتيجة الاحتلال الأمريكي، أظهر للواقع قوى وأحزاب وكيانات سياسية بدأ الصراع فيما بينها من أجل السيطرة والحكم. ولعل من أبرز ملامح هذا الصراع هو العنف الجسدي، وعلى مر العصور كان الحسد ساحة للصراع والإقصاء وحتى التقطيع "فالجسد تنزل تنزيلا مباشرا في مجال سياسي، وعلاقات السلطة تمارس عليه هيمنة مباشرة، إنها تستثمره وتطبعه وتقومه وتنكل به وترغمه وتكرهه"[2].

ارتبط العنف بالإنسان منذ ولادته، فقابيل حين اختلف مع هابيل تعامل بالعنف معه وقتله[3]. عند استقراء حضور الجسد في الروايات وبالأخص في رواية فرانكشتاين وجدنا سياق العنف محورين للتعامل معه: الأول هو محور القتل والتعذيب والتمثيل بالجسد وهو ما سميناه بالموت العنيف، أما المحور الثاني هو إعادة إحياء الجسد، إما من خلال تجميع الأجزاء المقطعة أو من خلال إستيهام العودة إلى الحياة وهو ما سميناه الانبعاث بعد الموت.

---

[1]: أحمد سعداوي: فرانكشتاين في بغداد، ص: 126.

[2]: عبد الرحمان التليلي، العنف على الجسد، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 4، المجلد 37، 2009، ص: 122-123.

[3]: وردت قصة قابيل وهابيل في سورة المائدة الأية، 27-30.

المحور الأول: الموت العنيف:

إن أقصى حالات العقاب على الجسد هو الموت العنيف فحالات الصراع السلطوي السياسي والاجتماعي يجعل إفناء الآخر هدفا له، لكي يزيحه ويبعده من طريقه. إن الموت العنيف في الرواية لم يعد طقسا احتفاليا، أو مهيبا كما في التراجيديا الإغريقية مثلا، بل أصبح يوميا ومجانيا وقاسيا، وربما يصل إلى درجة التوحش ولهذا يرى بعض الباحثين أن الجسد العراقي: موضوع في غاية الأهمية لدى العراقيين المتحضرين... لكن ثمة تناقضا صارخا بين عشق العراقيين الأجساد ... وبين مشروعات قتل الأجساد وتشويهها والتمثيل بها ... وهم في أقصى حالات التوحش السياسي في العصر الحديث والتاريخ المعاصر[1].

كان العنف الجسدي في رواية: "فرانكشتاين في بغداد" **لأحمد السعداوي** يتجسد من خلال الانفجارات والانتقامات والاغتيالات، هذا العنف هو الذي مهد لظهور شخصية المسخ أو الشسمه، أي الذي لا يعرف اسمه، المتكون من أجزاء من أجساد الضحايا الذين سقطوا نتيجة العنف المهيمن في بغداد، حيث استطاع بائع المواد المستعملة "هادي حساني عبدوس" الملقب بالعتاك، أن سكون من أجساد الضحايا جسدا متكاملا، ثم دخلت فيه روح أحد ضحايا الانفجارات وهي روح "حسيب محمد جعفر" الذي كان يعمل حارسا في فندق السدير وسط بغداد، وقضى في انفجار سيارة كابسة النفايات الملغمة التي فجرها الإرهابي السوداني في مدخل فمدق السدير، ليتكون من الجسد المجمع والروح التائهة. وبفعل هطول المطر على الجثة المسجاة في بيت هادي العتاك، كان كائن جديد له مميزات خارقة، لكنه بشع المظهر وكأنه مسخ وليس كائنا بشريا طبيعيا.

كان هدف الشسمه من الموت العنيف هو تحقيق العدالة الاجتماعية التي غابت يعد التغير نتيجة العنف الجماعي الذي ساد بين مكونات المجتمع يقول" "سأقتص بعون الله والسماء من كل المجرمين، سأنجز

[1]: سيار جميل، فلسفة الجسد والتفكير الإنساني رؤية عربية، عالم الفكر، ص: 145.

العدالة على الأرض أخيرا ولن يكون هناك حاجة لانتظار مضني ومؤلم لعدالة تأتي لاحقا في السماء أو بعد الموت. هل سأكمل المهمة؟ لا أعرف، ولكن سأحاول في الأقل أن أنجز "أمثولة" القصاص، قصاص الأبرياء الذين لا ناصر لهم إلاّ خلجات أرواحهم الداعية لدفع الموت وإيقافه"[1]، وهو هدف نبيل، إذا كانت وسائله هي الوسائل التي يمارسها القتلة. إن الانتقام والثأر للضحايا هي الفكرة التي آمن بها الشسمه، وأخذ ينفذها بكل اندفاع واخلاص، وهذه الفكرة توضحها شخصية الصحفي في الرواية محمود السوداني

"فالشسمه مصنوع من بقايا أجساد الضحايا، مضافا إليها روح ضحية، واسم ضحية أخرى، إنه خلاصة ضحايا يطلبون الثأر لموتهم حتى يرتاحوا، وهو مخلوق للانتقام والثأر لهم"[2]. إن استعارة جذاذات من أجساد الضحايا لتكوين هذا الكائن، واستعارة روح أحد ضحايا العنف، فضلا عن اسم ضحية أخرى، يدل على غياب تسمية صريحة للمسخ، أي غياب هوية واضحة له، ولذلك يطلق عليه الشسمه، أي الذي لا يعرف اسمه من هنا لا يكون هذا المسخ كائنا اجتماعيا، بل هو رمز لشيوع العنف وهيمنته في المجتمع بعد التغير في العراق، أما شخصية علي باهر السعيدي، رئيس تحرير مجلة الحقيقة التي يعمل فيها محمود السوداني، فيحاول أن يربط بين ظاهرة الشسمه والموت العنيف الذي يرافقه من جهة، وبين الحتمية الاجتماعية تدفع باتجاه هذه الظاهرة من جهة أخرى: "هناك قوانين لا تعمل إلا في ظروف خاصة، وحين يحدث شيء ما وفقا لهذه القوانين يستغرب الإنسان ويقول: إن هذا شيء غير معقول، إنها خرافة أو في أفضل الأحوال معجزة، ولا يقول: أنه يجهل القانون الذي حركها، الإنسان مغرور كبير ولا يعترف بجهله أبدا"[3].

---

[1]: الرواية، ص: 157.

[2]: الرواية، 144.

[3]: الرواية: 144.

وهذا يعني أن الحتمية الاجتماعية تتسبب دائما في خلق القوانين التي تحكم الإنسان وسلوكه ومصيره، والتفسير المنطقي للسعدي فيما يخص ظاهرة الشسمه، ليس بعيدا عن تفسر هادي العتاك فالثأر يوجه الإنسان باللاوعي لي يتعامل مع الإساءة الموجهة إليه، والقتل لا يقابله إلا القتل والموت العنيف لا يرده إلا موت العنيف مضاد، يصل هذا العنف والعنف المضاد ذروته في الرواية مع اندلاع القتال الداخلي بين مكونات المجتمع نفسه[1].

"كانت الأوضاع العامة تتجه إلى التدهور أكثر. الصراعات على شاشات التلفزيون بين السياسيين، تقابلها حرب فعلية في الشارع أدواتها المفخخات والاغتيالات والعبوات الناسفة واختطاف السيارات بركابها، وتحول الليل إلى غابة مجرمين، وانشغال المثقفين والعاملين في الوسط الإعلامي بقضايا مثل: هل نحن نتجه إلى حرب أهلية، أم أننا نعيش مستوى من مستويات الحرب الأهلية، أم أننا وسط حرب أهلية غير نمطية. نوع جديد من الحرب الأهلية"[2].

إن سلسلة القتل التي يقم بها المسخ لا تنتهي، فكلما أضيفت أجزاء جديدة لجسده نتيجة لتساقط الأجزاء القديمة منه كان عليه أن ينتقم للضحايا أصحاب الأجزاء الجديدة، "لكن قائمة المطلوبين من قبل الشعب بعد إضافة أجزاء جديدة إلى جسدي من ضحايا جديد، وظلت الأجزاء القديمة تسقط لضيف فريق مساعدي أجزاء أخرى، وهكذا حتى انتبهت ذات ليلة أنني، على وفق هذه الخطة أمام قائمة مفتوحة لا تنتهي"[3].

---

[1]: بول ريكور، الذاكرة التاريخ النسيان، ص: 530.

[2]: الرواية، ص: 199.

[3]:الرواية، ص: 60.

المحور الثاني: الانبعاث بعد الموت.

تعد أسطورة الانبعاث بعد الموت من أقدم الأساطير التي آمنت بها البشرية واحتفلت بها وقدستها على مدى العصور، ولا تخلو أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات من هذه الأسطورة، باختلاف الروايات وأشكال تجسيد الأسطورة كان التركيز على عنصر الموت والتجديد في الحياة.

ورواية فرانكشتاين ل: "أحمد السعداوي" قضية الانبعاث بعد الموت غبر واضحة في ذهن شخصية هادي العتاك صانع المسخ، حيث كان هدفه صنع جثة كاملة من بقايا ضحايا الانفجارات في بغداد ثم تسليمها إلى الطبيب العدلي، وذلك بدافع إنساني، لكت هطول المطر على الجثة المكونة حديثا قد ساهم في عملية انسجام أجزاء الكائن الجديد وانبعاثه إلى الحياة.

يمارس الكائن الجديد عملة الانتقام من القتلة وكلما قتل مجرما سقط الجزء منه، الجزء الذي ينتمي للضحية التي قتلها المجرم المذكور، فواحدة من أهم مميزات الشسمه أن حسده قابل لتبديل أجزائه، سواء انتقم للضحية صاحبة الجزء أو لم ينتقم لها في الوقت المناسب: "قال له أنه يكتشف أشياء جديدة كل يوم، لقد عرف أن اللحم الميت الذي يتكون جسده منه يتساقط من تلقاء نفسه في حال لم يجر الثأر لصاحبه في الوقت المعلوم، كما أن إتمام الثأر لصاحب جذاذة من جذاذات جسده يؤذن بسقوطها أيضا، وكأنما تنتفي الحاجة لوجودها حين ذاك"[1]، لكم قد يتم استبدال الأجزاء التالفة من جسد المسخ، بأجزاء جثث مجرمين أو إرهابيين، وهذا ما يجعل مسلسل القتل يبدأ ولا ينتهي عند حد، هذا ما شعر به المسخ نفسه: " كانت لدي شكوك كبيرة أن عملية الترميم الأخيرة قد استعملت فيها لحوم قادمة من جسد مجرم، لقد استعملوا دون أن يعرفوا ربما، أجزاء من أحد الإرهابيين، لذا أبدو في مزاج غير حسن وأشعر بشيء من التشويش"[2].

---

[1]:الرواية، 148.

[2]: الرواية، 172.

هنا نكون في سلسلة ا تنتهي من الموت والانبعاث مركزها المسخ، وهذا ما يجعل العنف مستمر إلى مالانهاية وما بقاء المسخ طليقا في نهاية الرواية بعد أن قبضوا على هادي العتاك بوصفه المجرم الخطير الشسمه، وإصابة الناس بحالة من الفرح الهستيري، إلا تلميح لبقاء العنف في بغداد: "كان القط نابو يتجول في بناية الفندق المهجورة، بالإضافة إلى شبح رجل مجهول يقف منذ ساعة عند النافذة العارية، من إحدى غرف الطابق الثالث يراقب احتفالات الناس بصمت وهو يدخل، ناظرا كل حين إلى تلبد السماء بالغيوم الداكنة أكثر فأكثر"[1].

لقد كان لنداء العجوز أهمية مركزية في الرواية حيث أسهم هذا النداء، بانبعاث الأجزاء الأدمية التي جمعها "هادي العتاك" من أشلاء ضحايا العنف مكونة مسخا، هنا نكون إزاء انبعاث وهمي في ذهن العجوز "ايليوش: لابنها المتوفي دانيال.

3-2: العنف ضد المرأة.

كثيرا ما ترتبط ثيمة العنف في الأدب العربي –الحديث خاصة– بالمرأة، التي كثيرا ما استعملها الكتاب العرب بوصفها مرآة تعكس بشاعة العنف في المجتمعات العربية، فنجد على سبيل المثال لا الحصر: نجيب محفوظ في روايته بداية ونهاية، يحكي لنا مأساة الجوع من خلال "نفيسة" التي اضطرها الجوع إلى الرذيلة ابتداءً ثم اضطرها العار إلى الانتحار انتهاءً، كذلك نجد طه حسين من خلال دعاء الكروان يصور لنا المرأة ضحية للإقطاعية ولعنف الرجل واستغلاله وأنانيته، ثم ضحية لأحكام المجتمع الذكوري الذي يغفر زلة الرجل ولا يغفر زلة المرأة، وتقدم الكاتبة الأفغانية "مرال معروف" المرأة ضحية للحرب والاحتلال في رائعتها الهجرة من أفغانستان، والأعمال العربية التي تتخذ من المرأة وسيلة للكشف عن بشاعة العنف في الأدب العربي الحديث كثيرة، وربما يرجع هذا إلى العقلية الشرقية التي تربط المرأة بصفة الضعف، والحاجة إلى حماية

[1]: الرواية. 351.

الرجل، فصرنا نصور الرجل آلة للعنف والمرأة ضحيته وإن وقع على الرجل، حين يقتل الأب أو الزوج أو الابن أو الأخ، فإن المرأة هي التي تيتم وترمل وتثكل وتفقد السند والعضد، فهي الضحية الأولى لكل عنف، ويرجع من جهة ثانية لواقع ما جلبه العصر الحديث من قضايا النسوية، والنظر إلى العالم الشرقي على انه عالم ذكوري يضطهد المرأة.

لا تخرج رواية فرانكشتاين في بغداد عن هذا التقليد الذي يستثمر المرأة لتصوير العنف الاجتماعي بمختلف أشكاله وصوره، ونحاول خلال هذا العنصر الوقوف على تجليات العنف وتأثيره على واقع المرأة العراقية وعلى رؤية الإنسان العراقي للمرأة من خلال هذه الرواية.

المحور الأول: المرأة ضحية للعنف على الرجل.

يجعل أحمد السعداوي من العجوز "ايليوش" والدة دانيال صورة معبرة عن المرأة التي تسلبها الحرب سندها، وفلذات كبدها، فقد قتل ابنها دنيال في الحرب، وهاجرت بناتها من العراق هربا من الحرب، وبقيت "ايليوش" في العراق تنتظر أمل لن يتحقق بعودة دانيال، كيف يكون حال المرأة وهي تفقد كل من لها في رحى العنف، في مجتمع السلطة فيه للقوي، هذا ما يصوره لنا الكاتب من خلال تلك الفكرة التي خطرت على ذهن فرج الدلال الذي يضغط على ايليوش لتبيعه بيتها وحين تقابله بالرفض يفكر "بأن طرد عجوز مسيحية لا ظهر لها ولا سند يمكن أن يجري في نصف ساعة دون أي مجهود كثير"[1]، فرغم أن الذي مات هو دانيال فإن ضحايا موته فعلا هن أمه. هته المرأة العجوز التي فرضت عليها الحرب الوحدة وسلبتها بناتها بالتهجير وابنها بالقتل، وأخواته اللواتي فرض عليهن غياب الاخ وانعدام السند في مجتمع تحكمه الحرب والقوة والعنف والصراع أن يهجرن وطنهن وإن اضطرهن ذلك لتخلي عن والدتهن العجوز التي رفضت أن تغادر وطنا ابتلع ابنها دون أن يمنحها حق معرفة قبره.

---

[1]: الرواية، ص: 21.

يموت الرجل فيسترح، ويبقى لنسائه من بعده التعب والنواح واللطم والذل والجناح المكسور، هذا ما مثله الراوي من خلال موت حسيب محمد جعفري الذي يبلغ الحادي والعشرون من العمر، ...في الانفجار الذي تسبب به الانتحاري السوداني الجنسية"[1]، وحين وصل صندوق نعشه إلى بيته "احتضنته زوجته الشابة وبكت بحرقة وصراخ يشبه العواء طويلا، كذلك فعلت أمه وأخواته...، وظلت ابنه الصغيرة ذات الذاهلة ذات الفم المبلول تتناقلها الأيدي كلما شبت في روح من يحملها نيران الحزن الشديد"[2].

هكذا فإن المرأة لا يجب أن تتعرض للعنف مباشرة لتكون ضحية لها، فكل عنف يعود عليها أولا إنها الحلقة الأضعف في سلسلة الاجتماع البشري، وإن كانت في زمن النظام والتحضر والحرية والحب تنال العطف كله لأنها الجزء الرقيق والضروري من المجتمع، فإنها في زمن الهمجية والفوضى والبغض والحرب والظلم يقع عليها ذلك كله، ويمسها قبل أن يمس روح القتيل.

المحور الثاني: اختزال المرأة في الجسد.

العنف والحرب يجلبان الدمار والدمار يجلب الجهل والجهل يجلب التخلف، وفي زمن التخلف يتراجع العقل الإنساني ليفسح المجال للغريزة الحيوانية، وحين تصبح الكلمة العليا للغريزة على حساب العقل تختزل صورة المرأة في الجسد، لأن العقل لم يعد له مكان. فالغرائز العنيفة والرغبة الشخصية والأنانية هي ما يحرك أفعالنا حينها تتوقف المجتمعات التي تعيش هذه الحال عن إدراك المرأة بوصفها كيانا بشريا له قلب وروح وعقل وينظر إليها وفقط بوصفها جسد.

هذا الاختزال عبرت عنه "محمود" وهو يتساءل ما يمكن أن يجمع بين المخرجة السينمائية نوال الوزير بمدير تحرير المجلة هذا التساؤل الذي أجابه عنه زميله في المجلة "فريد الشواف" بقوله "إنها الفاك بودي مالت

---

[1]: الرواية، ص: 43.

[2]: الرواية، ص: 43-44.

عمّك"[1]، ويحاول محمود أن يدافع عن المرأة ويقول لصديقه أنه لا يحق له أن يتهمها بغير دليل لكن حتى هو يستسلم أخيرا لهذا الوصف، بعد أن عجز عن التفكير في أي شيء أخر يمكن أن يجمع هذه المرأة بهذا الرجل، وهو يتساءل في قرارة نفسه: "ما الذي يجمع هذه المرأة مع علي باهر السعدي سوى السرير"[2].

هكذا يصبح العقل العراقي وعقل الإنسان الذي جردته الحرب من كل قيم الإنسانية ومقولات العقل المحكوم بالاندفاع وراء غرائزه، عاجز كليا عن تصور أي وظيفة أخرى للمرأة في الجماعة، لا تتصل باستعمال جسدها لإرضاء غرائزه.

والجسد نفسه يختزل في عضو واحد واستعمال واحد، فتختفي العواطف والحب والمودة والرحمة ولا تبقى إلا تلك المسألة التي حددها فريد الشواف وهو يقول لمحمود كلما حدثه عن إعجابه بنوال الوزير "المسألة تتعلق بعضوك الذكري، جد له ثقبا لحميا دائما"[3]، هكذا تفقد المرأة في زمن العنف كل قيمة في المجتمع وتتحول من كونها عواطف ومشاعر وأفكار والقيم، ومن كونها أم وأخت وشرف لتصبح جسد وفقط، بحيث تتوقف حتى هي عن إدراك نفسها إلا بوصفها جسدا مشتها، وغريزة مطلوبة فتحول نفسها وغيرها من النساء إلى سلعة تباع وتشترى محكومة بقواعد السمسرة والعرض والطلب.

هذا ما تفعله سمسارة النساء التي يقول عنها صديق محمود "إنها تأخذ مبالغ كبيرة ولكن بضاعتها ممتازة"[4]، وهذا يمثل أبشع صور العنف وأكثرها تعبيرا عن فقد الإنسان لكل معنى شريف وقيمة سامية من معاني وقيم إنسانيته.

---

[1]: الرواية، ص: 52.

[2]: الرواية، ص:52-53.

[3]: الرواية، ص: 131.

[4]: الرواية، ص: 200.

3-3: العنف ضد الآخر.

تعد الرواية العراقية، من ابرز الروايات التي تناولت ما عاشه هذا البلد من حروب مدمرة، إذ فتحت المجال واسعا أمام قضية تجريد –الإنسان عموما والإنسان العراقي خصوصا– من هويته. يظهر ذلك جليا على طول المسار السردي للرواية النموذج لهذه للدراسة، حيث يشرق كل صباح تعيشه العراق على حادثة تحبس الأنفاس حيث تبدأ الرواية بانفجار في محطة الباص يعد مباشرة بعد مغادرة الباص للمحطة[1]، وقد جعل هذا الواقع العنيف والغير إنساني الذي تعيشه البلد من الشخصية العراقية شخصية مقهورة تعبر عن قهرها بالعدوانية، إن الظلم يولد العنف، والعنف يولد الخراب. فإذا بالبلد غارق في سلسلة من التفجيرات الغير معروفة الفاعل والسبب إنها حرب الجميع ضد الجميع، فتغير الإنسان العراقي بتغير نمط حياته، لقد جعله الانتقال من وضعية السلم والأمن الاجتماعي إلى وضعية الحرب الدائمة ينتقل لا شعوريا نحو الشعور بعدائية من ونحو الجميع فيحاول قهرهم وفرض ذاته عليهم، إنها محاولة المغلوب على أمره والمقهور بعدوه إداد العزاء والسلوى في أن يمارس القهر ويتغلب على من دونه الصراع القائم من اجل بلوغ السلطة، الذي ظهر في بغاد بعد المرحلة الانتقالية... حولت حياة الفرد العراقي جحيما، وجعلت من بغداد (والعراق)، مسكنا للموت الموحش، الذي شوه نظام البلد وشوش على أفراده، حيث يقول السارد "منذ ضرب الأمريكان البناية العلوية بالصواريخ، صم دخولهم إلى بغداد، وانقطاع الاتصالات الهاتفية لشهور طويلة، وتحول المدينة إلى مكان موبوء بالموت"[2].

ساهم هذا الشيوع للموت والحرب إلى شيوع الفساد الأخلاقي في الإنسان العراقي الذي فقد معنى الحياة، فتحول إلى كره ذاته وكره ما حوله يتجلى هذا الفقد للمعنى في ذلك العجوز الخمسين يقذ الهيئة وغير

---

[1]: ينظر: الرواية ص: 11.

[2]: الرواية 12.

الودود، الذي تفوح منه دائما رائحة الخمر[1]، فأي معنى للاعتناء بالنفس وأنت تعيش في خندق حرب، حيث تفقد الحياة بهجتها فيغيب معناها، أي معنى للتبسم في وجوه العابرين والتودد إليهم وأنت لا تدري أيهم سوف يضع سيارة مفخخة أمام بيتك. هذه الحياة المشوهة والواقع العنيف والطبيعة العدائية التي حكمت الأمة والمجتمع العراقي، إنما هو نتيجة الاضطهاد والظلم الذي تعرضوا له من طرف الأخر الأمريكي، إذ فرض عليهم سيادته عن طريق الغارات والهجمات ونشر الفتن، فبث في نفوس هذا الشعب الخوف وسلبهم حقهم في الدفاع عن حقهم، حتى فرج الدلال الذي كان معروفا بسطوته ونفوذه على المنطقة لم يستطع الرد على الجنود الأمريكان الذي اتهموه بقتل الأشخاص الأربعة الذين أجر لهم بيته، لقد منعه الخوف من الدفاع عن نفس، لقد كان فرج الدلال وهو يسمع كلام المترجم الذي يعيد عليه أسئلة الجنود وينظر إليه نظرة اتهام واضحة يعلم تماما أنهم " يتصرفون باستقلالية كبيرة، ولا يستطيع أحد محاسبتهم على ما يفعلون، وبإمكانهم أن يقذفوا بأي إنسان وراء الغيوم بمجرد تغير المزاج"[2].

لقد سلب وجود المستعمر ذاتهم واستحوذ على أرائهم فلم يستطيعوا حتى الدفاع عن حقهم، فلم يستطع فرج الدلال نفي التهمة عن نفسه، لقد أخذه الخوف والذهول من هؤلاء الذين قطعوا البحر والسهل يحملون شعار الحرية ويجلبون معهم حقيقة العبودية. هذا ما خلق شخصية شسمه الذي يسعى الانتقام للأشخاص الذين يشكلون جسده من قتلتهم، لكن حتى انتقامه كان بطريقة رهيبة يظهر فيها الرد على الإجرام بالإجرام. إنها مدينة الفنتازيا الواقعية"، والفوضى التي جسدها هادي العتاك من خلال الغريبة حول هذا الكائن المرعب، المكون من مجموعة من الأعضاء البشرية المنتشرة هنا وهناك، المجهولة الهوية، والساعي نحو الانتقام للضحايا التي تكونه.

---

[1]: الرواية 17.

[2]: الرواية: ص- 79-80.

ارتكب شسمه في محاولات الانتقام هذه سلسلة من الجرائم الغامضة التي يصعب معرفة فاعلها، مما جعل الكثيرين في تساؤل حول معرفة طبعة هذا المخلوق، فلم يكن " يخطط لشيء أخر تماما عوض التورط في معارك مع أشخاص هم ليسوا أعداءه في الأصل، هو لا يشك في قدرته على النجاة مهما حاول الآخرون قتله ولكنه لا يبحث عن الاستعراض والنجومية وإبراز القوة، هو لا يقصد أيضا إخافة الناس، إنه في مهمة نبيلة ومن الضروري أن ينجز هذه المهمة بأقل قدر ممكن من المعرقلات، لذا وبعد حادثة الشحاذين الأربع، وحادثة صدمه بشكل غير مقصود على الشارع بجوار نصب الحرية من قبل سيارة الشرطة، قرر أن لا يتحرك علنا ويتحاشى الناس قدر الإمكان"[1]. لقد أصبح كل فرد من أفراد المجتمع العراقي بالثأر حتى يرتاح رغم محاولة شسمه تفادي ذلك وهذا ما حدث تلك الليلة: عند مواجهته للشحاذين السكارى إذ سعى جاهدا لتفادي الصدام معهم لكن دون جدوى، فعدوانيتهم واندفاعهم نحوه لأجل قتله رغم كل محاولاته لإقناعهم بأنه لا ينوي أذيتهم أو التعرض لهم بسوء، فقد كان وجهه البشع حافزا قويا لكي يعتدوا عليه إن الخوف منه –من غرابة شكلها– مجتمعا مع عدم معرفتهم به خلق شعورا بالعدائية عبروا عنه بمحاولة قتله، لقد أصبح العراقي من خلال هذا المشهد الروائي يرى في كل غريب في كل مختلف في كل ملا يحبه أو يستلطفه خطرا عليه وعدوا له، لقد أصبح الاختلاف هو المعيار الوحيد للعداوة إن كل ما هو مختلف عنك عدو لك.

طغيان كراهية الأخر الذي عززه وجود المستعمر الأجنبي، وسنوات طويلة من النزاع الطائفي واستبدا النظام قبله، أفسد كل إمكان للتواصل والتفاهم الحضاري فرغم صفاء نية شسمه وكل محاولاته لتجنب القتال، وإقناعهم بتقبله فوجد نفسه مجبرا على قتالهم. إن العنف الذي كان في المجتمع لم يسمح بتقبله – "حين تعجز عن التواصل بالكلام نتواصل بقبضاتنا"[2]، فحاولوا محاربته واضطهاده مما جعله يقتلهم دفاعا عن نفسه

---

[1]: ص: 145–146.

[2]: إيتشيرو أودا: أنمي وان بيس: أرك جزيرة اليوجن، ح 846.

رغم انه ليس مرتبط معهم بقضية ثأر، ما جعله يعيش في جو من الرعب والخوف والفرار الدائم من البشر العاديين، إذ ليست روح الانتقام السبب الرئيسي لحصد أرواح السكارى وإنما هو لخوف الذي جعله مجبرا على محاربتهم خوفهم منه دفعهم للاعتداء عليه، وخوفه منهم بعد فشل كل محاولة للتفاهم دفعه إلى قتلهم ليستطيع البقاء وتحقيق مهمته في الثأر للضحايا الذين يشكلون جسده، الغريب أن شسمه كان يعلم أنهم لن يستطيعوا قتله فجسده لا يتفكك إلا بتحقيق مهمته أو انتهاء الوقت المتاح له، لكنه قتلهم. يأتي هنا سؤال لماذا قتلهم ما داموا لا يشكلون خطرا حقيقيا عليه، إنه الانخراط اللاشعوري في مسلسل العنف فعنفهم حفز عنف شسمه، كذلك انه كائن مكون من مجموعة من الشخصيات المقهورة والغاضبة والمختلفة التي يجمعها شعورها بالقهر الذي حملاها على الانبعاث من الموت لتشكل شسمه. إن ما يسكنه من طاقة غضب وقهر وطبعته المضطربة هي ما جعله يقتل السكارى الأربعة. لكن كان القتل يتيح لشسمه فرصة الثأر للضحايا من جهة، والبقاء حيا من جهة ثانية فكل ميت جديد يعني عمرا أطول لأنه يعني عضوا جديدا في جسد شسمه الذي يقول: "ليس لدي وقت كثير، ربما انتهي ويذوب جسدي وأنا أسير ليلا في الأزقة والشوارع حتى من دون أن انهي مهمتي التي كلفت بها، أنا مثل هذه المسجلة التي أعطاها ذلك الصحفي المجهول لهادي العتاك المسكين، والوقت بالنسبة لي هو مثل هذه البطارية ليس كثيرا ولا كافيا"[1]. يسعى شيسمه إلى تحقيق هدفه الإنساني بالدرجة الأولى ألا وهو جعل الآخرين يتقبلونه، وتعويض الأرواح التي تسكنه من خلال إيجاد طريقة لاستمرارها في الوجود من خلاله، والثأر لهم من قتلتهم. فيعتبر نفسه ملاذها الوحيد وملبي ندائها حيث يقول: "أنا الرد والجواب على نداء المساكين، أنا مخلص ومنتظر ومرغوب به، ومأمول بصورة ما...، سأقتص بعون الله والسماء من كل المجرمين. سأنجز العدالة على الأرض أخيرا ولن يكون هناك من حاجة

[1]: الرواية، ص: 156

لإنتضار مضني ومؤلم لعدالة تأتي لاحقا في السماء أو بعد الموت"[1]، فهو في الحقيقة ليس مجرما وإنما جاء ليخلص أفراد مجتمعه من العنف الموجود بداخلهم، وأثناء محاولته ذلك عاش صراع جعل حياته تتأزم إذ كثرت عمليات الثأر فمع نهاية كل عملية تظهر ضحية جديدة مما صعب عليه مهمته فيقول الساحر مخاطب شسمه: " كل من تقتله يتم غلق حسابه، أي أنّ طالب الثأر يلبى طلبه فيذوب في جسدك ذلك الجزء العائد له. هناك وقت معين على ما يبدو إذا انتهيت من الثأر لجميع الضحايا قبل الوقت النهائي فسيضل جسدك متماسك ثم يذوب بعد انتهاء المهمة"[2]. تمثل شخصية شسمه تجسيد للواقع العراقي الذي طاله الدمار والذي جعل شخصيته دائمة الاضطراب، كل ذات في إحدى أعضاء جسده المجهولة الهوية والضائعة تحمل أفكار ومعتقدات ساهمت في تزايد عدد الضحايا يوما بعد يوم، لتضل مهمة شسمه مفتوحة حتى أصبح مدمنا على فعل القتل. إذ وجد نفسه أمام قائمة متجددة لا تنتهي من الأرواح المطالبة بالثأر لها.

حاول شسمه إثبات ذاته من خلال خلاصة النماذج البشرية التي يتكون منها، فرغم خروج الأمور عن السيطرة استمر في محاولة تحقيق مبتغاة وإتمام مهمته مهما كلف ذلك. إنه يطالب كل من يسمعه أن يلبي نداءه ويساعده على إتمام مهمته وأداء رسالته، ليغادر هذا العالم الذي أنهكه فيقول: " أعرف أنّ الأمور لم تجري مثل ما أحب، لذا فها أنا أطلب ممن يسمع تسجيلي هذا أن يساعدني وأن لا يعرقل عملي حتى انتهي منه، وأغادر عالمكم هذا بأسرع وقت ممكن فلقد تأخرت كثيرا. أعرف أن لدي أسلافا كثيرين ظهروا ها هنا في هذه الأرض في حقب وأزمان ماضية، أنجزوا مهامهم في أوقات المحن العصيبة ثم غادروا ولا أريد أن أكون مختلفا عنهم"[3]. لقد وقع شسمه في هاجس كان سببا في تلك الجرائم والصراعات التي كادت أن تؤدي

---

[1]: الرواية، 156-157.

[2]: الرواية، ص: 163.

[3]: الرواية، ص: 171.

إلى حرب أهلية، مجهولة المصدر فالكل في نظره مجرمين بطريقة أو بأخرى، فقد ساهمة الكل في ان يصير مجرما يهابه الجميع، إن الجريمة وإن كان يرتكبها واحد فإن ظروفها نخلقها جميعا بتعصبنا بظلمنا باستبدادنا بأنانيتنا بحبنا لذواتنا برؤية كل منا نفسه ممثلا للعدالة والحقيقة المطلقة ورفض كل اختلاف عنه. لقد اعتمد على النسبية في تبرير القتل العشوائي والفوضوي حيث يقول: "كنت حذرا اتجاه اللحوم التي تستخدم في ترميم جسدي، وان لا يجلب لي المساعدون لحوما غير شرعية أي: لحوم مجرمين، ولكن من يحدد نسبية الإجرام في شخص ما، هكذا تساءل الساحر ذات نهار، إن كل شخص فينا لديه نسبة من الإجرام تقابله نسبة معينة من البراءة...، كانت لدي شكوك قوية أن عملية الترميم الأخيرة قد استخدمت فيها لحوم قادمة من جسد مجرم، فقد استعملوا، دون أن يعرفوا ربما، أجزاء من جسد أحد الإرهابيين لذا أبدوا في مزاج غير حسن وأشعر بشيء من التشويش الارتباك"[1]، وهذا ما يدل على رمزية شسمه التي تحيلنا على عدة مدلولات تتصل بواقع الصراع في العراق، ففي المستوى الأول ترتبط دلالة شخصية شسمه بالتعدد القومي والإيديولوجي في العراق، فالشعب العراقي مزيج من العرب والأكراد وكل منهما مزيج من مسلمين ومسيح، والمسلمين مزيج من سنة وشيعة، والكل تعرض لاضطهاد النظام العراقي الدكتاتوري خلال فترتي هيمنة حزب البعث والحكم الحسيني. لقد تعرض الجميع للاضطهاد لكنهم أيضا تعرضوا لعنف بعضهم البعض ما جعل كل شخصيو هوياتية من مكونات الشخصية العراقية تسعى بعد سقوط النظام إلى إعادة الاعتبار لذاتها من خلال السيطرة على الدولة. لقد تحولت الشخصية العراقية إلى شخصية مسخة تتشكل من مجموعة الأعضاء المتنافرة والمتباينة والمتصارعة التي تطلب الثأر من بعضها البعض، وترى كل منها أنها صاحبة الحق الوحيد في العراق، ما خلق اضطراب الشخصية الممثلة لهذا الواقع شخصية شسمه فهو يتشكل من أعضاء يحمل كل

[1]: الرواية، ص: 171-172.

عضو منها إيديولوجية وأفكار صاحبه بحيث يعجز عن التحكم في تفكره ويضطرب تماما، كما تعجز العراق عن التحكم في واقعها.

إنها سفينة مكسورة الدفة في بحر صراع هائج فقد خرج الشعب العراقي ليبني وطنه، ويقاتل من يعتقده خطرا على هذا الوطن، لكن اكتشف أن الجميع خطر على الجميع، حتى غدا مثقلا بالعنف والقتل، في المستوى الثاني سوف تحيلنا شخصية شسمه على الجيش الأمريكي هذا الجيش المكون من وحدات مختلف من جيوش الدول المشكلة لحلف الناطو، والتي تسع من خلالها كل دولة للحفاظ على مصالحها في العراق كما يسعى كل عضو في جسد شسمه لتحقيق الثأر لذاته وقد أتت هذه الجيوش مدعية أنها تسعى لتحقيق العدالة لكل طوائف الشعب العراقي –السلام على ظهر المدفعية–، تماما كما يدعي شسمه أنه يسعى للثأر للأعضاء التي تشكل جسده، لكن شسمه سيغلب عليه العنف فيتحول إلى آلة للقتل والتخريب، لا هدف له إلا البقاء بأي وسيلة وتحقيق ذاته بأي طريقة لكي يمنع ذوبان جسده حتى من خلال استعمال المجرمين تماما كما حاولت أمريكا الحفاظ على وجودها في العراق بكل السبل فعززت الطائفية و أججت الحرب الأهلية وفتحت الباب واسعا أمام الإرهاب ليدخل العراق، ثم بقيت في العراق بدعوى الحرب على الإرهاب، اخلق المجرم ثم حاربه.

خـاتـمـة

خـاتـمـة:

حاولنا من خلال هذه الدراسة الوقوف عند تجليات العنف في رواية :فرانكشتاين في بغداد، التي نقلت لنا الواقع العراقي، وصورت مأساة أمة فككها النزاع، ودمرتها الحرب، وجردتها من قيمها الأخلاقية والاجتماعية والحضارية، لتصنع منها غابة يتسلط فيها القوي على الضعيف.

جاءت "فرانكشتاين في بغداد" للكاتب العراقي أحمد سعداوي، لتستأنف سرد تلك المأساة العراقية التي بدأ سردها كتاب العراق من أمثال "نجم الوال" في روايته "تل اللحم"، حيث يتحول العالم الواقعي إلى عالم فنتازيا حقيقية، فأتت "فرانكشتاين في بغداد" مفعمة بالأحداث مترعة بالألم مثقلة بالموت، لتقول أن الحرب لا تجلب شيئاً غير الجهل والتخلف والدمار، والعنف هو مظهر هذه الأشياء جميعا.

تنتهي دراستنا هذه لجملة من النتائج التي يمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

* العنف حقيقة كونية لا سبيل لتحييدها من الواقع.

*امتناع تحديد العنف لا يمنع من ضبطه.

* التأكيد على تعدد الظاهرة من حيث المفهوم والصورة والتصور.

* تنوع المأساة العراقية وتعدد مظاهرها.

* التأكيد على الدور التوعوي والحضاري والإنساني للأدب.

* التأكيد على قيمة أدب الأزمة والمأساة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر المراجع.

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

قائمة المصادر:

1: أحمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، دار الجمل، بيروت لبنان، 2013.

قائمة المعاجم:

2: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت لبنان، ط1، .1997

3: معجم الوسيط، دار عمران، ط 3، .1975

4: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية لبنان، ط1، ج3.

قائمة المراجع:

5: أدونيس، فاتحة لنهايات القرن، دار التكوين للنشر، سوريا، ط3، .2010

6: حمودة منتصر سعيد، حماية حقوق الطفل في القانون الدولي العام والإسلامي، دار الجامعة الجديدة، مصر ط1 -.2007

7: جمال مفرج، نيتشه الفيلسوف الثائر، دار إفريقيا الشرق، المغرب -.2003

8: جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، تر: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان- 1993.

9: جان جاك لوسركل، عنف اللغة، تر: محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، لينان-.2006

10: جان بودريان، ادغار موران، عنف العالم، تر: عزيز توما، دار الحوار للنسر والتوزيع، سوريا. ط1، 2005.

11: رينيه جيرار، الكذبة الرومنسية والحقيقة الروائية، تر: رضوان ظاظا، المنظمة العربية للترجمة- لبنان، 2008.

12: رينيه جيرار، العنف والمقدس، تر: سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة– لبنان، 2009.

13: سهيل العروسي: العنف مقدمات ونتائج، مجلة الفكر السياسي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق. ع: 14، صيف 2001.

14: سامي غابري: مقال: معضلة العنف عند حتّة أرندت، جامعة تونس.

15: سيار جميل، فلسفة الجسد والتفكير الإنساني رؤية عربية، عالم الفكر.

16: طارق السيد: الانحراف الاجتماعي –الأسباب والمعالجة– ، مؤيية شبابا الجامعة، مصر، ط1، 2008.

17: عبد الرحمان العيساوي، علم النفس الجنائي، الدار الجامعية. بيروت، ط2، 1990.

18: عبد الله دراز: النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن)، دار الثقافة، الدوحة – قطر، ط 1– 1985.

19: علي بن الحسن بن هبة الله *بن عساكر، تاريخ دمشق الكبرى، تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غلامة العمري*، دار الفكر، د.ط، د.ت، ج 3.

20: عبد الرحمن عمار: قضية الارهاب بين الحق والباطل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط: 1– 2003.

21: عبد الرحمن ابن خلدون: ك**تاب العبر**، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن 22: عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2–1931، مج:.1

23: عبد اللطيف الخمسي: قضية العنف ومسالة الإنسان، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، ذ.ط– 2015.

24: فريديريك نيتشه، هكذا تكلم زارادیشت، تر: محمد الناجي، دار أفريقيا الشرق، المغرب –2006.

25: فريديريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، تر: حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان–1981.

26: محمد الهلالي، وعزيز لزريق، دفاتر فلسفية ونصوص 17 –العنف– دار توبقال للنشر، المغرب– 2009.

27: مدحت مطر، تنامي ظاهرة العنف في المجتمع وعلاجها، دار اليازوري العلمية، عمان، 2014.

28: مصطفى عمر التيز: العنف العائلي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض- السعودية، ط1- 2015.

29: معمر عبد العزيز، نور قبس من سورة عبسى، مكتبة نور الاليكترونية، 2019.

30: محمد السيد حسونة: المشكلات السلوكية المدرسية، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1- 2000.

31: ماجد الغرباوي: تحديات العنف، العارف للمطبوعات، لبنان، ط1- 2009.

32: محمّد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، الدار التونسية للكتاب، تونس، 1991.

33: مديحة أحمد عبادة، خالد كاظم أبو دوح: العنف ضد المراة –دراسات ميدانية حول العنف الجسدي والعنف الجنسي- دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، ط1- 2008.

المجلات والأطاريح:

34: أوقاشة شفيعة، الرد بالكتابة في الرواية العربية المعاصرة (أطروحة دكتوراه)، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2021-2022.

35: الطاهر لقوس علي: السلطة الرمزية عند بيير بورديو، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم اللغو والآداب والفلسفة، جامعة وهران، العدد : 16 -2016.

36: طه عبد الباقي الطوخي، نظرة في هرم ماسلو للحاجات الإنسانية، مجلة علم النفس المطمئنة، العدد 6-سبتمبر 2017.

37: عبد الرحمان التليلي، العنف على الجسد، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 4، المجلد 37، 2009.

38: محمد جواد رضا: ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة –تفسير سوسيو سايكولوجي-، مجلة عالم الفكر وزارة الإعلام الكويت، ع:3- أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1974.

39: مصطفى عمر النير: العدوان والعنف والتطرف، المجلة العربية للدراسات الأمنية، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض –المملكة العربية السعودية، ع: 16، جوان- 1993 مج: 08.

المواقع الإليكترونية:

40: تميم البرغوثي، كلمنت السادس وهذا الوباء، يعلى الرابط:

https://www.youtube.com/watch

41: عبد الله البايري: ثورة يناير: الأمل باعتباره ممارسة واليأس بوصفه موقفا، 30 يناير 2018، منبر ضفة ثالثة الاليكتروني، ت.ع: 04-05- 2022، على الرابط:

https://diffah.alaraby.co.uk/diffah//opinions

42: مديان شامل: قصة القديس ماركوركيس، برنامج: قديس من تقويمنا، كنيسة انتقال مريم العذراء، بغداد–العراق، 15-05-2022، يتوب على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=SJhYerL1TE8 .

الملاحق

الملحق الأول: التعريف بالكاتب أحمد السعداوي.

أحمد سعداوي روائي وكاتب وشاعر عراقي من مواليد 1973، عمل في العديد من الصحف والمجلات والمؤسسات الصدفية المحلية، كما عمل مراسلا للبي بي سي (bbc) في بغداد 2005–2007. يشتغل حاليا في إنتاج وكتابة الأفلام الوثائقية وإعداد البرامج التلفزيونية وكتابة السيناريو.

عمل مراسل لوكالة (MICT) الألمانية ومقرها برلين وينشر في صحف الصباح، والصباح الجديد، والمدى والمجلات الأسبوعية كالشبكة وتواصل، وجميعها تصدر في بغداد. ومن أبرز أعماله رواية "فرانكشتاين في بغداد" التي صدرت عام 2013، ترجمت الرواية إلى 32 لغة منها: الإنجليزية والصينية والفرنسية والكورية.. وستتحول إلى فيلم سينمائي ينتجه رفيقة صديقيه ناجي الكناني وسامر السبع.

وللكاتب أعمال روائية أخرى مثل: رواية "باب الطباشير"، و"انه يحلم أو يلعب أو يموت"، و"السيد الجميل"، كما له عدة أعمال شعرية منها: ديوان الوثن الغازي، ونجاة زائدة، وعيد الأغنيات السيئة، وصورتي وأنا أحلم.

الملحق الثاني: ملخص الرواية.

رواية فرانكشتاين في بغداد لأحمد السعداوي، صدرت عن منشورات الجمل مارس 2013، فازت بالجائزة العالمية للرواية العربية سنة 2013، وجائزة Gpi الفرنسية عام 2017 ودخلت ضمن القائمة القصيرة لجائزة البوكر العالمية للرواية المترجمة للإنجليزية سنة 2018. تم اختيارها من بين أكثر من 156 رواية كانت مرشحة للفوز وموزعة على ثماني عشرة دولة عربية، استوحى الكاتب قصة الرواية من أحداث الحرب في العراق التي بدأت منذ 2003م، وكتبها في 350 صفحة موزعة على 19 فصل.

أخذ أحمد السعداوي اسم روايته من شخصية شهيرة في عالم روايات الرعب وهي: "فرانكشتابن"، تدور أحداث الرواية حول مضاعفات الحرب في العراق التي بدأت في عام 2003 واستمرت مضاعفاتها لسنات عديدة لاحقة، وخصوصا في فترة شتاء 2005 حيث وقعت في تلك الفترة العديد من التفجيرات الإرهابية التي أودت بحياة العديد من الأبرياء الذين لا جول لهم ولا قوى.

بطل الرواية هادي العتاك بائع أنتيكات في حي البتاوين الواقع وسط مدينة بغداد يجمع بقايا الجثث، جثث ضحايا التفجيرات الإرهابية ويلصقها معا، ليكون منها كائنا بشريا غريبا سرعان ما ينهض ليقوم بعملية ثأر وانتقام واسعة من المجرمين الذين قتلوا أصحاب الأجزاء التي يتكون منها.

يروي هادي هذه القصة على الزبائن الذين كانوا يترددون إلى مقهى عزيز المصري، لكنهم لا يصدقون أنها حقيقية، لكن العميد سرور يشك في الأمر فيحاول أن يجد مجموعة من الأشخاص لتحري ذلك. تتسارع الأحداث ليكتشف كل واجد من زبائن عبد الهادي أنه هو فرانكشتاين، أو أنه يمد هذه الشخصية البشعة والمخيفة بالقوى لتنمو أكثر وتتجول في شوارع بغداد.

أحداث الرواية تدور على "الشسمه" الذي لا تزال اللائحة في ذهنه طويلة تحمل أسماء يفترض أن يقتلهم وكلما تقلصت عادت لتمتلئ بأسماء جديدة وربما تضاعفت دون أن يدري، وهذا الأمر جعل المهمة

صعبة بالنسبة له، ولم يعد يكترث لمن يعود الجزء الذي في جسده، وهل يرمم نفسه ببقايا ضحايا أم مجرمين لأنه صار الآن يلمس بعمق الجانب النسبي في الموضوع ليس هناك أبرياء بالكامل ولا مجرمين كاملين.

الملخص:

المخلص:

تتناول هذه المذكرة موضوعًا مهما يعكس ظاهرة العنف التي عرفتها الرواية العراقية.

تجسد رواية فرنكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي مختلف أشكال العنف فجاءت دراستنا لها بعنوان العنف في رواية فرنكشتاين في بغداد، وتشمل خطة سير البحث فصلين:

أولها نظري و فيه ضبطنا مصطلحات و مفاهيم البحث

و الثاني تطبيقي تمثل في تجليات العنف في الرواية،كما احتوت مذكرتنا على خاتمة تناولت اهم النتائج المتوصل إليها و للوصول إلى هذه النتائج اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع التي تصب في مجرى الموضوع.

Abstract

This note deals with the issue of violence in the Iraqi Novel. Ahmed El Saadawi's Novel named "frankchstein" embodies the various forms and type of violence in Baghdad this study is named "violence in the frenchkstein Novel"

The content of the research is divided into two chapters; the first is theoretical in which we set terms and concepts of research;the second is pratical including interpretation of violence in the novel

The final chapter contains an end including the most important results obtained of many references related to the topic.